نقد النصوص اليهودية

على غرار الفصل الخاص بنقد ابن حزم للنصوص النصرانية، يمكن تقسيم نقده للنصوص اليهودية إلى قسمين رئيسيين: أولهما يعنى بفحوى النصوص، وثانيهما يعنى بتاريخها. وفي هذين القسمين أُعيد ترتيب قضايا النقد ترتيباً موضوعياً يفكّ ارتباط الأفكار بتسلسل النصوص اليهودية.

أولاً: النقد الداخلي

طبّق ابن حزم نفس المنهج الذي اعتمده في نقد أسفار العهد الجديد، حيث كان يتخذ نصا أساسياً محوراً للنقد، فيقارنه بنصوص أخرى سواء من نفس السفر أم من غيره، محكّماً بداءة الحس والعقل والمرجعية الإسلامية الظاهرية، ومراعياً في الغالب ترتيب الأسفار ونصوصها.

اضطرت ضخامة التراث الديني اليهودي ابن حزم إلى الانتقاء والاختيار، فركّز على العهد القديم، خاصةً الأسفار التوارتية الخمسة[1]، وبصفة أخص أسفار التكوين والخروج والعدد[2]. فاستفرغ ابن حزم جهده في نقد التوراة

(1) امتد نقد التوراة في: **الفصل**، ج1، ص202 ـ 285. أما نقد بقية أسفار العهد القديم، فقد ورد في ص 306 ـ 312. وجاء نقد النصوص التلمودية والمدراشية في: ص320 ـ 328.

(2) بالنسبة لنقد **سفر التكوين**، انظر: المرجع السابق، ج1، ص202 ـ 246، و**سفر الخروج**، ص246 ـ 260، و**سفر العدد**، ص261 ـ 282، أما بالنسبة لسفري **اللاويين** و**التثنية** فكان التركيز عليهما ضئيلاً، ص 261، ص282 ـ 285. والجدير بالذكر أن هذه التقسيمات =

بتوسّعٍ وإسهاب، ومال إلى الاختصار والتقليل من الأمثلة بالنسبة لبقية الأسفار.

قسّم ابن حزم نقده للتوراة فصولاً، عددها «سبعة وخمسون فصلاً، من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فأقل»[3]. وحدّد كعادته منهجه بدقة قبل الشروع في النقد، إذ صاغه في دستور ذي ثلاثة بنود:

1 ـ «وليعلم كلّ من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخرج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يُخرّج على وجهٍ ما ـ وإن دقّ وبعد ـ فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له».

2 ـ «وكذلك أيضاً لم نخرج منه كلاماً لا يُفهم معناه ـ وإن كان ذلك موجوداً فيه ـ لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله به ما أراد».

3 ـ «وإنّما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلاً، إلا الدعاوى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً لا محتملاً ولا خفياً»[4].

يُلاحظ أن ابن حزم قد وعد بنقد النصوص الواضحة (البند 3)، واجتناب النصوص المبهمة (البند 2)، أو التي يمكن تأويلها (البند 1). فهل أنجز ما وعد؟ هذا ما سنراه من خلال عرض محاور النقد.

1 ـ الألوهية:

حاكم ابن حزم ظاهر النصوص اليهودية إلى المرجعية الإسلامية، مبيناً الفرق بين الإسلام واليهودية في تصوّر الإله، على الرغم من إدعاء اليهود تمسّكهم بالتوحيد[5]. وفيما يلي تلخيص لخصائص الألوهية في اليهودية من

= تخص النصوص الأساسية التي تشكل محور النقد، أما النصوص الثانوية التي تقارن بالنصوص الأولى، فهي متداخلة في جميع أسفار العهد القديم حسب الموضوع ودرجة تعقيده.

(3) المرجع السابق، ج1، ص285، أما الفصل المطول ذي «السبع كذبات»، فقد ورد في: ص265 ـ 277.

(4) المرجع السابق، ج1، ص201 ـ 202.

(5) سبق لابن حزم أن وصف اليهود بأنهم «موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد»، المرجع السابق، ج1، ص 177.

خلال نصوصها كما قرأها ابن حزم ونقدها، مع العلم أن النقد قد ورد متفرقاً، وجُمع هنا بشكل منهجي موضوعي قصد تسهيل الدراسة.

أ ـ الشرك وتعدد الآلهة:

من النصوص التي يفيد ظاهرها الإشراك بالله ـ عزّ وجلّ ـ نصّ من التوراة، نسب إلى الله الخشية من أن يصير آدم إلهاً من الآلهة إذا ما أكل من شجرة الحياة[6]. كما وجد ابن حزم بغيته في الأسفار الشعرية، ففيها أن إلهاً يمسح إلهاً آخر بالزيت[7]، ويكلّمه[8]، ويقوم في مجتمع الآلهة [9]. بل يوجد من الناس من يشارك الإله في أزليته[10].

ب ـ التجسّد:

التجسّد هو حلول الإله في بعض مخلوقاته، من ذلك:

- تجسد الله في شكل رجل صارع يعقوب وانهزم أمامه[11].
- رؤية بني إسرائيل لله في زمان موسى، حيث كانت تحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي وكسماء صافية، ولكنه لم يمد يده إلى خيار بني إسرائيل الذين نظروا إليه[12].

---

(6) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1. ص .207 **تكوين** (3: 22).

(7) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 307. **مزمور** (45: 6 ـ 7).

(8) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 308. **مزمور** (110: 1)، والعبارة «قال الرب لربي...»، ولفظة «رب» تطلق على البشر وعلى الإله.

(9) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 309. **مزمور** (82: 1)، في الترجمة الحديثة: «الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي».

(10) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 310. أمثال (8: 22 ـ 30).

(11) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص232 ـ 233. **تكوين** (32: 22 ـ 32). مع بعض الاختلافات بين «الفصل» والنص العبري. ذكر ابن حزم التأويل اليهودي بأن الرجل الذي صارع يعقوب ملاك من الملائكة وليس الله.

(12) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 255. **خروج** (24: 10 ـ 11)، وترجمة «الفصل» مقبولة على الرغم من مخالفتها للترجمة الحديثة. انظر أيضاً: الرد على ابن النغريلة، ضمن الرسائل، ج3، ص 61.

- تمكين الله لموسى من رؤية ظهره دون وجهه[13].
- وصف الله بأنه شيخ أبيض الرأس واللحية[14].
- أما روايات الأحبار، فهي مولعة بالتفاصيل الغرائبية: من قياس لجبهة الله وأنفه، ووزن لتاجه، ووصف لفص خاتمة. بل ورآه بعضهم في إحدى الخرائب يذرف الدمع لقبوله بهدم الهيكل[15].

ج ـ التشبيه:

إن التجسّد مرتبطٌ بالتشبيه، فالأجسام تتشابه وتتباين فيما بينها. والعهد القديم مليء بالتشبيهات لله تعالى بمخلوقاته:

- فمنها ما يشبّهه بالإنسان عموماً[16]، أو ما يصفه ببعض الصفات الإنسانية: فيجوز أن تنطلي عليه حيل البشر[17]. وهو يشبه الرجل القادر[18]. ويوصف بالبداء والتردّد[19]. كما أنه يثور ويغضب كالنائم المنتبه من نومه والجبّار

---

(13) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 260. **خروج** (33: 22 ـ 23). انظر أيضاً: **الرد على ابن النغريلة**، ضمن الرسائل، ج3، ص 61.

(14) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 311. **دانيال** (7: 9)، نسب ابن حزم خطأ النص إلى سفر إشعياء.

(15) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص324 ـ 328. **الرد على ابن النغريلة**، ضمن الرسائل، ج3، ص64 ـ 65.

(16) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص202 ـ 203. **تكوين** (1: 26)، والنص في «الفصل»: «قال الله تعالى: أصنع [أ] بناء آدم كصورتنا كشبهنا».

(17) انظر **الفصل**، ج1، ص227 ـ 228. **تكوين** (27: 1 ـ 40)، ويروي النص قصة تنكّر يعقوب في زيّ أخيه الأكبر عيسو لكي ينال بركة إسحاق. ومحلّ النقد هو إجراء الله حكمه وإعطاؤه نعمته من طريق الغش والخديعة.

(18) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص253 ـ 254. **خروج** (15: 3)، والترجمة الحرفية للنص العبري هي «رجل حرب». انظر أيضاً: الرد على ابن النغريلة، ضمان الرسائل ج3، ص 61.

(19) البداء يتعارض مع علم الله المحيط بكل شيء فهو يصوّر الله كإنسان يغيّر رأيه وموقفه حسب مستجدات الأحداث. انظر: **الفصل**، ج1، ص258 ـ 259. **خروج** (32: 10 ـ 14)، وفي النص تذكير موسى لله بوعده لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بتكثير نسلهم وتمليكهم الأرض المقدسة، وذلك عندما أراد الله إهلاك بني إسرائيل بسبب عبادتهم العجل الذهبي. =

المخمور[20]. ويرى ابن حزم أن جلّ هذه الأوصاف لا يمثل الإنسان في أحسن أطواره.

- كما شُبّه تعالى بالحيوان، فوُصف بأنه كوحيد القرن[21].
- وشُبّه أيضاً بالجمادات كالنار[22].

ويُلاحظ أن ابن حزم أهمل في نقده وجه الشبه، الذي يجعل للتشبيه معنى، ويمكن أن يُقام عليه الفهم المجازي للنص، حيث ركّز على طرفي التشبيه: المشبَّه والمشبَّه به، اللذين يصدم اقترانهما «الظاهري» المسلم المؤمن بالمفارقة التامة بين الخالق والمخلوق.

ويرى ابن حزم ـ من خلال نقده للنصوص اليهودية ـ أن بذور العقائد النصرانية في التجسّد والتثليث موجودة في اليهودية: ففي العهد القديم نصوص تذكر أن لله زوجة[23] وأبناء[24]، وأنه تجسّد في ثلاثة نفر لإبراهيم[25].

= انظر أيضاً: **الرد على ابن النغريلة**، ضمن الرسائل، ج3، ص63 ـ 64. ومثال آخر في: ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص259 ـ 260. حيث قال الله تعالى: إنه لم ينزل مع بني إسرائيل عند دخولهم فلسطين. **خروج** (33: 1 ـ 5)، ثم نزل معهم. **خروج** (33: 14، 17)، (34: 10).

(20) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 308. **مزمور** (78: 65).

(21) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 308. **مزمور** (29: 6). واسم وحيد القرن ـ عند ابن حزم ـ هو الحريش. أما في النص العبري فنجد רְאֵם . وترجمتة Rhinoceros في الفولغاتا Vulgate وفي الترجمة الحديثة «البقر الوحشي». انظر أيضاً: الرد على ابن النغريلة، ضمن الرسائل، ج3، ص 66.

(22) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص253 ـ 254، **تثنية** (4: 24). وأيضاً ص 255. **خروج** (24: 17). وأيضاً: **الرد على ابن النغريلة**، ضمن الرسائل، ج3، ص 66.

(23) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 307 ـ 308. **مزمور** (45: 9 ـ 11).

(24) انظر العديد من النصوص: **الفصل**، ج1، ص 209. **تكوين** (6: 1 ـ 2، 4). وابن حزم مدرك للتأويل اليهودي للنص بأن أولاد الله هم الملائكة هنا. وأيضاً: **الفصل**، ج1، ص246 ـ 247. **خروج** (4: 22 ـ 23)، وفي النص أن بني إسرائيل هم بكر ولد الله. وأيضاً: **الفصل**، ج1، ص 307. **مزمور** (2: 7)، ص 309. **مزمور** (89: 6، 26 ـ 27). البنوة في هذه النصوص تشمل داود وبني إسرائيل. وأيضاً: **الفصل**، ج1 ص 311، إشعياء (66: 9).

(25) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص219 ـ 221. **تكوين** (18: 1 ـ 8). نقد ابن =

2 ـ النبوة:

حاكم ابن حزم النصوص اليهودية وفق مفهومه الإسلامي للنبوة، فأدان بشدّة ما نسبه اليهود إلى الأنبياء من انحرافات في العقيدة والسلوك. ويمكن تصنيف هذه الانحرافات كما يلي:

أ ـ انحراف العقيدة:

يتمثل ذلك في:

- تشكّك إبراهيم في صدق وعد الله له بتمليكه ونسله الأرض المقدسة[26]. وسجوده للنفر الثلاثة عند بلوطات ممرا، وقوله إنه عبدهم[27].
- صناعة هارون للعجل الذهبي وعبادته له وتزيينه ذلك لقومه[28].
- تشكّك موسى عليه السلام في قدرة الله تعالى على إطعام بني إسرائيل اللحم[29].
- بناء سليمان لبيوت الأوثان، وتقريبه لها القرابين على الكُدي[30].

ب ـ عدم تنفيذ الأوامر الإلهية:

يتمثل ذلك في عدم ختان موسى لمن وُلد في البرية من بني إسرائيل[31]،

= حزم التأويلات المختلفة للنص، ومن بينها أن أولئك النفر الثلاثة كانوا من الملائكة. وربط هذا النص بالعقائد النصرانية قائلا: «وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث»، **الفصل**، مرجع سابق، ج 1، ص 220.

(26) المرجع السابق، ج1، ص218 ـ 219. وورد على لسان إبراهيم «يا رب بماذا أعرف أني أرث هذا البلد؟» قارن: **تكوين** (15: 7 ـ 8).

(27) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص219 ـ 221. **تكوين** (18: 1 ـ 8).

(28) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص256 ـ 258. **خروج** (32: 1 ـ 6، 19 ـ 25). انظر أيضاً: ص .284 **الرد على ابن النغريلة**، ضمن الرسائل، ج3، ص61 ـ 62.

(29) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص277 ـ 279. **عدد** (11: 21 ـ 22). مع العلم أن الله قد أطعم بني إسرائيل قبل ذلك طيور السماني (السلوى). **خروج** (16: 1 ـ 13).

(30) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص239 ـ 240. ملوك أول (11: 1 ـ 8). وأيضاً: ص 284.

(31) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص306 ـ 307. يشوع (5: 2 ـ 9). لم يختن موسى إلا الذين خرجوا من مصر، أما الذين وُلدوا بالبرية فختنهم يشوع.

على الرغم من صرامة الأمر الإلهي في شأن الختان[32].

ج ـ الكذب:

- ككذب إبراهيم عند قوله إن سارة أخته أمام فرعون وأبيمالك[33].
- وكذب يعقوب وخداعه لأبيه عندما ادعى أنه عيسو[34].

د ـ الدياثة وعدم العصمة في العرض:

حسب التوراة مُسّ يعقوب في عرضه في مناسبتين[35]:

- مرة عندما انتُهك عرض دينة ابنته على يد شكيم بن حمور[36].
- ومرة أخرى عندما ضاجع ابنه رؤوبين بلهة سرية أبيه وأم أخويه[37]. واكتفى يعقوب ـ عند اقتراب وفاته ـ بمجرّد توجيه اللوم لرؤوبين على فعلته الشنيعة تلك[38].
- ومن الدياثة أيضاً زواج يوشع (يشوع) بن نون خليفة موسى عليه السلام من رحب (راحاب) الزانية الأريحوية [39].
- ولم يسلم عرض داود عليه السلام من الأذى بفسق ابنه أمنون بسراري أبيه علانيةً[40].

---

(32) جاء في **تكوين** (17: 14): «الذي لا يُختن في لحم غُرلته فتُقطع تلك النفس من شعبها».

(33) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 225. **تكوين** (12: 10 ـ 20)، (20: 1 ـ 18). أما في ص 239، فقد كان محلّ النقد هو الأخذ بظاهر النص في أن إبراهيم كان متزوجاً أخته، وهذا الفهم ليس شائعاً بين اليهود.

(34) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص227 ـ 228. **تكوين** (27: 1 ـ 40).

(35) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 234.

(36) **تكوين** (34: 1 ـ 2).

(37) **تكوين** (35: 21 ـ 22). وأخواه هما: دان ونفتالى.

(38) **تكوين** (49: 4).

(39) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 239. يشوع (6: 25). حسب النص العبري لم يتزوجها، بل «استحياها» أي أبقاها حية، ولم يقتلها مع أهل مدينتها، لتعاونها معه في فتح أريحا. فقد يكون ما هو مثبت في الفصل ترجمة تفسيرية.

(40) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 239. لم أجد هذا، بل وجدت أن أمنون قد =

هـ ـ الزنا:

- كزنا لوط عليه السلام بابنتيه، بعدما سقتاه الخمر إلى حد الثمالة، وإليه نسب بنوهما[41].
- كما يرجع نسب موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام إلى أكثر من زنا: فيعقوب زنى بليئة، عندما دخل عليها بدل راحيل أختها التي عقد عليها[42]. وزنى يهوذا بن يعقوب بثامار أرملة ابنه[43]. كما أن يوخابذ (يوكابد) أم موسى وهارون هي عمة أبيهما عمران (عمرام)[44].
- هذا إضافة إلى زنا داود بزوجة رجل من جنده، فأنجب منها طفلاً مات صغيراً ثم تزوجها وأنجب منها سليمان[45].
- وعهر سليمان وزواجه من نساء لا يحللن له[46].

و ـ اقتراف الظلم والسكوت عليه:

- كاكتفاء يعقوب بمجرد الإنكار على ابنيه لاوي وشمعون لقتلهما ظلماً حمور وابنه شكيم وأهل مدينتهما[47].

= اغتصب ثامار أخته لأبيه وشقيقة أبشالوم، الذي ثأر لثامار وقتل أمنون، صموئيل ثاني (13).

(41) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص223 ـ 225. **تكوين** (19: 30 ـ 38). وبنو لوط من ابنتيه ـ حسب العهد القديم ـ هم المؤابيون والعمّونيون.

(42) انظر **الفصل**، ص230 ـ 231. **تكوين** (29: 18 ـ 28). وأيضاً: ص 239. والذي استبدل راحيل بليئة هو لابان أبوهما وخال يعقوب.

(43) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص236 ـ 239. نسب داود، أخبار أول (2: 3 ـ 15). زنا يهوذا بثامار. **تكوين** (38).

(44) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 239. **عدد** (26: 59). اعتبر ابن حزم زواج العمة محرماً آنذاك.

(45) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 239. صموئيل ثاني (11)، (12: 1 ـ 25). اسم المرأة بشبع، وكان زوجها أوريّا الحثي قائداً لدى داود، الذي أرسله في مقدمة جيش محارب للتخلّص منه، وكذلك كان حسب النص.

(46) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج2، ص 239. ملوك أول (11: 1 ـ 8). تزوج سليمان ـ حسب النص ـ نساءً وثنيات.

(47) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 234. **تكوين** (49: 5 ـ 7). عقوبتهما حسب النص هي تفريق نسليهما في إسرائيل.

- ورجم يوشع (يشوع) لعخار (ويقال له أيضاً عخان) بن كرمي مع بنيه وبناته بذنب أبيهم[48].

أما بالنسبة للأسماء التي استقلت بذكرها المصادر اليهودية، وغير معروفة في المصادر الإسلامية[49]:

- فهذا شاول قتل النفوس ظلماً[50].
- وهذا بلعام بن ناعورا (بعور) ـ الذي كانت تتنزّل عليه الملائكة بالوحي[51] ـ أعان على الكفر[52]، وقتل موسى عليه السلام وجيشه[53].
- أما منسّى بن حزقيا الملك، فكان يعبد الأوثان ويقتل الأنبياء[54].
- كما نسب اليهود المعجزات إلى شمشون الداني المعروف بفسقه[55].

وانعكس هذا الانحراف في تصور النبوة ـ حسب ابن حزم ـ على مفهوم المعجزة، التي هي في الحقيقة علامة على صدق النبي، فصارت ـ في

---

(48) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 306. يشوع (7).

(49) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 284.

(50) شاول هو أول ملوك بني إسرائيل، ولم يوصف بالنبوة، ولا أدري ما المقصود بقتله النفوس ظلماً.

(51) **عدد** (22: 22 ـ 35). ناعورا تصحيف لبعور.

(52) **عدد** (31: 14 ـ 20). تتمثل إعانة بلعام على الكفر في إشارته على بنات موآب بالاختلاط برجال بني إسرائيل وإمالة قلوبهم نحو الوثنية، فأصابهم لذلك وباءٌ خطير. انظر أيضاً: **عدد** (25).

(53) **عدد** (31: 8).

(54) لم يوصف أنه نبي، وعن عبادته للأوثان انظر: ملوك ثاني (21: 1 ـ 18)، أخبار ثاني (39: 1 ـ 10)، وجاء في ملوك ثاني (21: 16) «وسفك أيضاً منسّى دماً بريئًا كثيراً جداً حتى ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب». ولم يصرّح النص إن كان من بين القتلى أنبياء أم لا، مع العلم أن الأنبياء قد سبق لهم أن نهوا منسّى عن أفعاله الشريرة (21: 10 ـ 15). فهل نحن هنا بصدد ترجمة تفسيرية للنص في «**الفصل**»؟.

(55) شمشون قاضٍ من قضاة بني إسرائيل، ولقد نُذر لله في بطن أمه، ووهبه الله قوة بدنية خارقة، وجعل سرّها في شعر رأسه. وكان شمشون يعاشر البغايا وأشهرهن دليلة التي كانت سبباً في القضاء عليه. انظر عنه: قضاة من (13: 1) إلى (16: 31).

النصوص اليهودية ـ تنسب إلى سحرة فرعون[56]، وإلى مدّعي النبوة[57].

أمام هذا التضارب في التصوّرات والمفاهيم، بيّن ابن حزم أن القرآن الكريم هو الحكم في مسألة النبوة، بمنأًى عن تطابق الرؤى أو تباينها؛ فموسى مثلاً يؤمن به المسلمون نبيّاً ورسول كريم، لأنه مذكور في القرآن الكريم لا لسبق ذكره في التوراة المحرّفة[58].

3 ـ الأخطاء الحسابية:

استخرج ابن حزم أخطاء حسابية في العهد القديم، سواء في تقدير أعمار الأفراد أو الأجيال أو الحقب التاريخية، وفق قواعد علم الحساب ومجريات العادة، مما يتناقض ونسبة الكتاب إلى الله تعالى. وبذل ابن حزم جهداً كبيراً في استخراج الأرقام والإحصاءات من نصوص متفرقة، وجمعها، واستنتاج بعضها، والمقارنة فيما بينها. وكان في نقده ظاهرياً صارماً لا ترضيه إلا الأرقام الصحيحة، ولا يعرف معنى للحسابات التقريبية. كما أبرز قدرته ـ نسّابة ومؤرخاً ـ على نقد الأنساب والتواريخ.

أ ـ مدة استعباد بني إسرائيل في مصر:

انطلق ابن حزم من نص أساسي، جاء فيه أن الله قال لإبراهيم بأن نسله سيُستعبدون ويُعذّبون طيلة أربعمائة سنة، وأن الجيل الرابع سيعود إلى الشام[59]. وبمقارنة هذا النص بالعديد من النصوص الأخرى، خرج ابن حزم بتناقضين:

---

(56) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص247 ـ 249. نسبت التوراة إلى السحرة القدرة على الإتيان المعجزات نفسها التي قام بها هارون. **خروج** (7: 10 ـ 12، 19 ـ 22)، (8: 6 ـ 7)، ولم يعجز السحرة إلا عن تحويل الغبار إلى بعوض، فاعترفوا بأن ذلك من صنع الله (8: 17 ـ 19).

(57) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص282 ـ 284. **تثنية** (13: 1 ـ 3). يتحدث هذا النص عن إمكان تحقق نبوءات أدعياء النبوة من الداعين إلى الشرك، ويتناقض هذا مع نص آخر (18: 20 ـ 22)، جاء فيه أن نبوءات الأدعياء لا تتحقّق.

(58) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص304 ـ 305.

(59) المرجع السابق، ج1، ص 213. **تكوين** (15: 13 ـ 16).

- لم يرجع الجيل الرابع إلى الشام، بل الجيل السادس هو الذي عاد.
- استعباد بني إسرائيل في مصر لم يدم 400 سنة ـ كما هو مذكور في النص ـ بل 123 سنة على أقصى تقدير[60].

ولكي يبين ابن حزم الناقض الأول، قسّم أجيال بني إسرائيل كما يلي:

الجيل الأول: إسحاق وأخوته.

الجيل الثاني: يعقوب وعيصا (عيسو) وبنو أعمامها.

الجيل الثالث: أولاد يعقوب وعيصا (عيسو). كانوا مبرورين ولم يمسسهم الاضطهاد[61].

الجيل الرابع: وهو جيل قاهات (قهات) والد عمران (عمرام). وهم الذين بدأت معهم العبودية[62].

الجيل الخامس: جيل عمران (عمرام) والد موسى.

الجيل السادس: جيل موسى. وهم الذين خرجوا من مصر ورجعوا إلى الشام، خلافاً لما ورد في النص[63].

ثم يردّ ابن حزم على التأويل القائل بأن حساب الجيل الرابع يبدأ من الجيل المعذَّب، فيبين أن النص يقول «الجيل الرابع من الأبناء»[64]، أي أبناء

---

(60) انظر النقد بفرعيه في: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص213 ـ 217. انظر أيضاً: ص252 ـ 253، حيث نجد نفس النقد تقريبا، مع إضافة المقارنة بنص آخر، ورد فيه أن بني إسرائيل بقوا في مصر مدة 430 سنة. **خروج** (12: 40 ـ 42).

(61) هذا ما يفيده ظاهر **خروج** (1: 6 ـ 7).

(62) هذا ما يفيده ظاهر **خروج** (1: 6 ـ 14).

(63) يبدو أن ابن حزم قد اعتبر شبه جزيرة سيناء جزءًا من الشام، في حين أن فترة التيه قد استغرقت جيلاً كاملاً قبل دخول الأرض المقدسة. يمكن تلخيص الأجيال الستة التي ذكرها ابن حزم ـ حسب نسب موسى ـ كما يلي: إسحاق، يعقوب، لاوي، قاهات، عمران، موسى.

(64) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 213. **تكوين** (15: 16). عبارة «من الأبناء» غير موجودة في الأصل العبري، فيحتمل أن يكون النص في «الفصل» ترجمة تفسيرية.

إبراهيم، فالخطاب موجَّهٌ إليه. كما أن التعذيب لم ينل من الجيل الثالث، بل بدأ من الجيل الرابع. مما يعني أن الأجيال المعذّبة ثلاثة وليست أربعة.

وإذا تجاوزنا النزعة الجدلية لابن حزم، يمكن اعتبار الأجيال الأربعة المذكورة، هي الأجيال المولودة بمصر، بدايةً من جيل قهات الذي وُلد جلّه بمصر، ثم أجيال عمرام فموسى فابنيه، فجيل ابني موسى هو الجيل الرابع الذي دخل فلسطين مع يشوع بن نون. ولا يعلم كيف أسقط ابن حزم من حسابه هذا الجيل الأخير؟

أما بالنسبة إلى التناقض الثاني، فقد توصل إليه ابن حزم عبر المراحل التالية:

حساب المدة الافتراضية القصوى لبقاء بني إسرائيل في مصر:

بافتراض أن قاهات دخل مصر وعمره أقل من شهر[65]، ووُلد له عمران سنة وفاته. ووُلد موسى لعمران سنة وفاته أيضاً، فيكون لدينا:

133 + 137 + 80 = 350 سنة

بحيث:

133 سنة: عمر قاهات[66].

137 سنة: عمر عمران[67].

80 سنة: عمر موسى عند الخروج[68].

حساب مدة البقاء في مصر وفقاً للنصوص:

الرقم 350 سنة ـ رغم كونه افتراضياً ومبالغاً فيه ـ لا يصل إلى الـ 400 سنة

(65) ولد قاهات بالشام، دخل مصر مع أبيه وجدّه. **تكوين** (46: 11).

(66) **خروج** (6: 18).

(67) المرجع السابق، (6: 20).

(68) المرجع السابق، (7: 7).

المنصوص عليها. فما بالك إذا ما روعي في الحساب أعمار الأشخاص حسب النصوص:

(60 ـ 3) + 80 + 80 = 217 سنة

بحيث:

60 سنة: عمر قاهات عند ولادة عمران[69].

3 سنوات: عمر قاهات عند دخوله مصر[70].

80 سنة الأولى: عمر عمران عند ولادة موسى[71].

80 سنة الثانية: عمر موسى عند الخروج[72].

حساب مدة العبودية:

الغرض النهائي من هذه الحسابات هو معرفة مقدار مدة العبودية التي قضاها بنو إسرائيل في مصر، لمقارنته بال400 سنة المنصوص عليها. الرقم 217 سنة لا يفي بالغرض، لأنه يمثل المدة الإجمالية للبقاء في مصر، فلابد من إنقاص المدة الفاصلة بين الدخول إلى حين وفاة آخر فرد من الجيل الثالث الذي عاش حرّاً، فالعبودية لم تبدأ إلا مع الجيل الرابع[73]. هكذا نجد:

217 ـ (71 + 23) = 123 سنة[74]

بحيث:

71 سنة: هي المدة الفاصلة بين الدخول ووفاة يوسف.

---

(69) نُسب النص إلى «كتب اليهود»: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 215. لم أجده في العهد القديم.

(70) لم تحدّد سنّه في **تكوين** (46: 11).

(71) انظر: الهامش (69) أعلاه.

(72) **خروج** (7: 7).

(73) ظاهرية ابن حزم تبدو جلياً في اعتقاده أن سلامة الجيل الثالث تعني بالضرورة وفاة آخر فرد منه قبل بداية عهد العبودية.

(74) حسب ابن حزم هذه العملية على مرحلتين: 217 ـ 71 = 146، ثم 146 ـ 23 = 123. انظر: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 215.

23 سنة: المدة الفاصلة بين وفاة يوسف ووفاة أخيه لاوي. واختار ابن حزم لاوي، لأنه لم يجد ذكر عمر أحد من إخوته ممن عاشوا بعد يوسف.

وفيما يلي طريقة حساب مدة 71 سنة:

71 = 39 ـ 110 = (2 + 7 + 30) ـ 110

بحيث:

110 سنوات: العمر الإجمالي ليوسف[75].

30 سنة: عمر يوسف عند خروجه من السجن ودخوله على فرعون[76].

7 سنوات: هي سنوات الخصب التي صدّقت تأويل يوسف لرؤيا فرعون[77].

سنتان: دخل يعقوب مع بنيه إلى مصر سنتين بعد بدء سنوات الجوع[78].

فيكون لدينا 39 سنة هي عمر يوسف عند مقدم أبيه وإخوته إليه.

وهذه طريقة حساب مدة 23 سنة:

23 سنة = (4 + 110) ـ 137

بحيث:

137 سنة: عمر لاوي[79].

110 سنوات: عمر يوسف[80].

4 سنوات: المدة التي يكبر بها لاوي يوسف[81].

---

(75) **تكوين** (50: 26).

(76) المرجع السابق، (41: 46).

(77) المرجع السابق، (41: 25 ـ 32).

(78) المرجع السابق، (45: 6).

(79) **خروج** (6: 16).

(80) **تكوين** (50: 26).

(81) حساب تقديري استنتجه ابن حزم من خلال تسلسل ولادات أبناء يعقوب في: **تكوين** (29: 34 ـ 35)، (30: 1 ـ 24).

النتيجة النهائية هي أن الحد الأقصى لمدة العبودية الذي يُقدّر بـ123 سنة، يقلّ بكثير عن الـ400 سنة المذكورة في النص الأساسي.

ب ـ إحصاءات بني إسرائيل:

ورد هذا النقد في فصلين مستقلين تدويناً متّحدين موضوعاً، وهو يتناول جملةً من إحصاءات بني إسرائيل، التي جرت في حقب تاريخية مختلفة، وتباينت فيما بينها من حيث شموليتها. وأهمها إحصاءان للرجال القادرين على القتال وتبلغ أعمارهم العشرين عاماً فصاعداً، جرى الأول عند الخروج من مصر، والثاني عند دخول فلسطين، وهما على التوالي:

603,550 رجلاً[82]

601,730 رجلاً[83]

من خلال هذين العددين استنتج ابن حزم العدد الإجمالي لبني إسرائيل، حيث افترض أن عدد الذكور الذين تقلّ أعمارهم عن العشرين عاماً قريب من عدد الذين يكبرونهم والمذكورين أعلاه، وأن عدد الإناث مقارب لعدد الذكور جميعا. فيكون العدد الإجمالي زائداً على ألفي ألف (مليوني) نسمة[84]. وهذا العدد الضخم مثير للمشاكل على غير مستوى كما سيتضح لاحقاً.

ثم استخرج ابن حزم ـ من خلال سفر يشوع ـ حصّة كل سبط من أسباط بني إسرائيل من المدن الفلسطينية، وقدّر عددها الإجمالي بنحو 400 مدينة[85]، وهكذا استنتج ابن حزم أن الأعداد الضخمة لبني إسرائيل ومدنهم لا تتناسب أبدا ومساحة البلاد التي سكنوها.

بعد ذلك عاد ابن حزم إلى هذه الإحصاءات بمزيد من التفصيل، لينقد

---

(82) ابن حزم، **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 261. **عدد** (1: 45 ـ 46)، ما عدا اللاويين.

(83) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 261. **عدد** (26: 51)، ما عدا اللاويين.

(84) انظر طريقة استنتاج هذا العدد في: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 271.

(85) المرجع السابق، ج1، ص 264. يشوع الإصحاحات (13، 15، 18، 19). وحسب **قاموس الكتاب المقدس**، مادة مدينة محصنة، ص 849، أخذ العبرانيون 600 مدينة.

فيها سبعة أخطاء. وتمثل هذه الانتقادات أطول فصول نقد العهد القديم[86]:

1 ـ استحالة أن يتكاثر من يعقوب وبنيه الاثني عشر وحفدته الواحد والخمسين[87] في مدة 217 سنة[88]، هذا العدد الضخم من الناس، الذي يُقدّر بأزيد من مليوني نسمة، وخصوصاً أن أحد النصوص يحدّد عدد الأجيال بأربعة[89].

وأشد الإحصاءات مخالفة للمعقول حسب ابن حزم، عدد بني دان الذي بلغ عند الخروج 62,700 رجل بلغت أعمارهم العشرين عاماً فصاعداً[90]. مما يعني أن العدد الإجمالي لبني دان نحو 160,000 إنسان[91]. هذا مع العلم أن لدان ولداً واحداً يُدعى حوشيم[92]. فكيف يمكن أن يتكاثر منه كل هذا العدد في مدة 217 سنة؟

وحدّد ابن حزم موانع حدوث مثل هذا التكاثر الخارق للعادة في عاملين أساسيين:

---

(86) أشار ابن حزم إلى طول هذا الفصل في: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص285. ويمتد بنصوصه ونقده: ص265 ـ 277. ويمكن مقارنة بعض ما جاء في هذه الصفحات بـ: «الأصول والفروع»، ص208 ـ 212. والرد على ابن النغريلة، ضمن الرسائل، ج3، ص64. وخشية التطويل، لم تُذكر كل الإحصاءات التي راجعها ابن حزم، بل اكتفي بأهمها وأعقدها. لمزيد من الإطلاع، انظر: **الفصل**، ج1، ص209 ـ 212، 235 ـ 236، 240 ـ 243، 281 ـ 282. ومن هذا القبيل مقارنة ابن حزم بين التوراة اليهودية والتوراة السبعينية، ونقده لاختلافاتهما حول أعمار الأجيال من شيث بن آدم إلى تارح أبي إبراهيم: **الفصل**، ج2، ص21 ـ 25. **تكوين** (5: 3 ـ 32)، (11: 10 ـ 32). وأيضاً: **الفصل**، ج1، ص299.

(87) استنتج ابن حزم هذه الأعداد من **تكوين** (46: 8 ـ 25). **عدد** (26: 5 ـ 57).

(88) وهي مدة بقاء بني إسرائيل بمصر حسب ابن حزم.

(89) **تكوين** (15: 13 ـ 16).

(90) جاء في: **الفصل**، ج1، ص269، أن عدد بني دان 72,700 رجل، في حين أن عددهم في: ص 268، مطابق لما جاء في: **عدد** (1: 38 ـ 39)، وهو 62,700 رجل.

(91) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص270. إذا ما طبقنا نفس طريقة ابن حزم في حساب عدد بني إسرائيل عند الخروج، يُفترض أن يكون الرقم أعلاه 250,800 (62,700 × 4)، أي حوالي 260,000، ويرجّح أن يكون الخطأ من الناسخ.

(92) **تكوين** (46: 23). **عدد** (26: 42). ويدعى أيضاً شوحام.

- العامل الاقتصادي: الذي لا يسمح بالكثرة النادرة للعيال إلا لأصحاب اليسار المفرط، الذين باستطاعتهم اتخاذ العديد من الزوجات والإماء، ولديهم ما يكفي من المال والخدم للعناية بأطفالهم الكثيرين. وهذا ما لا يقدر عليه من كان يعيش تحت نير العبودية والسخرة. والدليل على ذلك أن التاريخ اليهودي لم يسجّل كثرة نادرة في الولادات إلا لدى قلة من مدبّري (قضاة) بني إسرائيل في فلسطين بعد تحرّرهم وخروجهم من مصر[93].
- العامل الطبيعي أو الصحي: ويتمثل في إسقاط الحوامل، وإبطاء حمل المرأة بين بطن وبطن، وكثرة الموت في الأطفال، ووجود الإناث في الولادات[94].

2 ـ الخطأ الثاني هو أن أرض قوس/ قوص (جاسان) لا تكفي لاستيعاب قرابة ألفي ألف نسمة هم ومواشيهم التي هي معاشهم، بل مصر كلها لا تكفيهم[95].

3 ـ كما تذكر النصوص أنهم كانوا كلهم مسخَّرين في صناعة الطوب، وعلّق ابن حزم على ذلك بقوله: «وتالله إنّ ستمِائة ألف طوّاب لكثيرٌ جداً، لاسيّما في قوص وحدها»[96].

4 ـ ويتمثّل الخطأ الرابع في أن شجرة نسب بني لاوي بن يعقوب محدّدة بدقة في التوراة، ولا يمكن أن ينتج عنها عند الخروج 22,000 ذكر عمره شهر

---

(93) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص272 ـ 274. أما الأرقام القياسية التي بلغها القضاة في الولادات، فقد ذكر منها ابن حزم أربعة، تمّ تخريج ثلاثة منها: قضاة (8: 30)، (12: 8 ـ 9، 13 ـ 14)، كما استأنس ابن حزم بالتاريخ الإسلامي.

(94) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص272.

(95) المرجع السابق، ج1، ص274. عن مواشي بني إسرائيل، انظر: **تكوين** (45: 10)، (46: 33 ـ 34)، (47: 6).

(96) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 274. **خروج** (5: 6 ـ 19). ويؤكد ابن حزم كونهم كانوا مجتمعين في أرض قوس من خلال: **خروج** (12: 21 ـ 33).

فصاعداً[97]، و8,580 رجلاً عمره ما بين ثلاثين وخمسين عاماً[98]. وفيما يلي هذه الشجرة التي أدرك ابن حزم ـ بخبرة النسّابة ـ عدم تناسبها مع الأعداد المعطاة[99]:

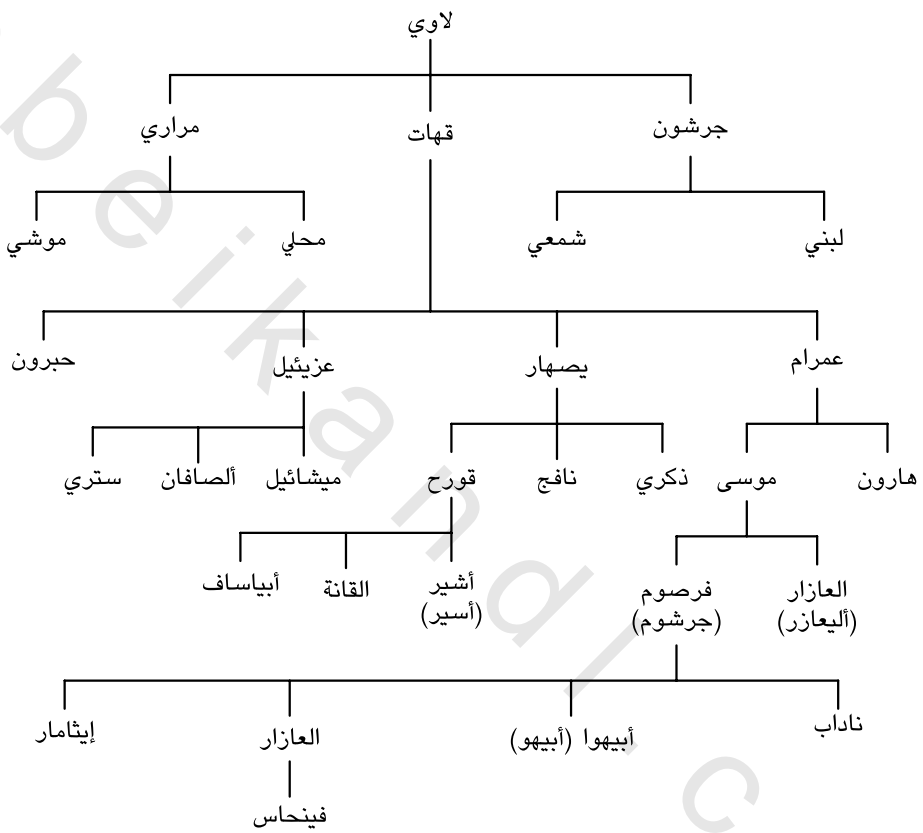

(97) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص275، وأيضاً: ص .267 **عدد** (3: 39).

(98) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص275، وأيضاً: ص266 ـ 267. وهذا العدد هو مجموع بني جرشون وبني قهات وبني مراري: 2630+ 2750+ .3200 **عدد** (4: 38 ـ 40، 34 ـ 36، 42 ـ 44).

(99) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص274 ـ 275، وقبله ص265 ـ 266. **خروج** (6: 16 ـ 25)، (18: 3 ـ 4). الشجرة من رسم الباحث.

5 ـ أما الخطأ الخامس، فهو ما جاء في سفر يشوع من أن لبني هارون ثلاث عشرة مدينة، هي حصتهم في أرض فلسطين[100]. في حين أن ألعازار بن هارون مازال حياً عند تقسيم الأرض[101]، ولم تمض على وفاة هارون سوى سنة وأشهر[102].

6 ـ يرفض ابن حزم الحسابات التقريبية، فعدد بني لاوي من الذكور ممن عمره شهر فصاعداً، ليس 22,000 ذكر كما هو مذكور، بل هو كالتالي:

بنو جرشون + بنو قهات + بنو مراري =

6500 + 8600 + 6200 = 21300 ذكر[103].

7 ـ أما الخطأ السابع والأخير، فلا يعود بصلة مباشرة إلى الإحصاءات السابقة بل يرجع إلى نسب داود. فهو داو بن أبشباي (يسّى) بن عونيذ (عوبيد) بن بوعز بن شلومون (سلمون) بن نحشون بن عميناداب بن أرام (رام) بن حصرون[104]. وباتفاق اليهود، تولّى داود الملك سنة 666 بعد الخروج من مصر، وكان عمره 33 سنة[105]، مما يعني أنه وُلد سنة 573 (هكذا) بعد الخروج[106].

---

(100) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص275. يشوع (21: 4)، حسب النصوص وزع بنو هارون على مدن الأسباط الآخرين لا لتعميرها بل للإرشاد الديني ورئاسة الكهنوت.

(101) يشوع (14: 1)، (24: 33).

(102) مات هارون في الشهر الخامس من السنة الأربعين من الخروج، أي قبل دخول فلسطين بقليل. **عدد** (33: 38).

(103) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص275 ـ 276، وقبله ص266. **عدد** (3: 22، 28، 34). حسب **عدد** (3: 22)، فإن عدد الجرشونيين 7,500، وبالتالي يكون مجموع اللاويين 22,300.

(104) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص276. راعوث (4: 18 ـ 22). بعض الأسماء مصحفة أو محرفة في «الفصل».

(105) جاء في ملوك أول (6:1) أن سليمان بن داود قد بنى الهيكل سنة 480 بعد الخروج كما في صموئيل ثاني (5:4) أن داود تولى الملك وعمره 30سنة.

(106) غريب لأن: 666 ـ 33 = 633، وليس 573. مما يرجح أن الرقم 666 كان في الأصل 606 ثم حرّف من قبل النسّاخ. وعلى كل حال فإن النص مضطرب في غير موضع. انظر: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص277.

وبما أن نحشون لم يدخل الأرض المقدسة، بل الذي دخلها هو ابنه شلومون (سلمون)[107]، فإنه ينبغي تقسيم مدة 573 سنة على أربع ولادات فقط: شلومون (سلمون)، بوعز، عونيذ (عوبيد)، أبشباي (يسّى). فيكون عمر كل واحد عند ولادة ابنه 140 ونيف من السنين. وهذا يتناقض مع نص ورد فيه أنه لم يعش بعد موسى أحد من بني إسرائيل 130 سنة سوى يهو باراع (يهوياداع) الكوهن الهاروني[108].

النتيجة النهائية التي خرج بها ابن حزم من خلال كل هذا النقد المتشعّب، هي استحالة صدور مثل هذه الأخطاء ـ وبالتالي الكتاب الذي يحتويها ـ عن الله تعالى، فـ«حاش لله أن يكذب في حساب بدقيقة فكيف بأعوام، والله خالق الحساب ومعلّمه عباده»[109].

4 ـ النبوءات والبشارات:

تناول هذا المحور نصوصاً يكثر حولها الجدل، فالنبوءات حمّالةُ أوجه، بسبب أسلوبها الرمزي ومعانيها الرجراجة. فاليهود يرون فيها حلمهم المسيحاني الذي لم يتحقّق بعد، والنصارى يرون فيها البشارة بالمسيح و الإعداد لمقدمه. أما المسلمون فيرون في بعضها البشارة بالنبي محمد ﷺ، ولكنهم رفضوا بعضها الآخر بحكم توجههم النقدي في التعامل مع النصوص الكتابية. أبرز هذا النقد شخصية ابن حزم المؤرّخ، يعرض النبوءات الكتابية على محكّ التاريخ، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ وضع المنهج الظاهري على المحك أمام نصوص رمزية قابلة لكثرة التأويلات بطبيعتها.

---

(107) أخذًا بالحسبان **عدد** (1: 7)، (32: 11 ـ 12)، حيث أن نحشون هو مقدّم بني يهوذا عند الخروج، ولم يدخل الأرض المقدسة من الخارجين من مصر ـ وأعمارهم عشرون عاماً فصاعداً ـ إلا اثنان فقط لم يكن من بينهما نحشون.

(108) لم أجد نصاً يحدّد سقف الأعمار بعد موسى، أما عن عمر يهوياداع ففي: أخبار ثاني (24: 15).

(109) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص216.

أ ـ النبوءات الكاذبة:

أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات:

تتمثل هذه النبوءة في وعد الله إبراهيم بتمليكه ونسله ما بين النيل والفرات[110]. وحسب سياق النص[111]، فإن بني إسحاق هم المقصودون بهذا الوعد. ويرى ابن حزم أن هذا لم يتحقّق، لأن بني إسرائيل لم يملكوا ـ على امتداد تاريخهم ـ إلا جزءاً قليلاً جداً من المنطقة المذكورة. ولو سلّمنا جدلاً أن المقصودين بهذا الوعد هم بنو إسماعيل، فإن ملك العرب قد شمل أكثر مما بين النيل والفرات. ولم يشر ابن حزم إلى إمكانية تأويل النص، باعتباره يخبر عن أمر سيتحقق على يد المسيح المنتظر.

سيادة بني إسرائيل على الأدوميين:

اعتبر ابن حزم أن التاريخ كذّب النص الذي نسب إلى الله القول لرفقة زوجة إسحاق، بأن الكبير من ابنيها التوأمين سيخدم الصغير منهما، وعند الولادة نزل عيسو قبل يعقوب[112]. ففي حياة هذين الأخوين نفسيهما، ذكر أحد النصوص أن يعقوب وبنيه ـ ما عدا بنيامين الذي لم يولد بعد آنذاك ـ قد سجدوا لعيسو سبع مرات، وأن يعقوب خاطب أخاه بعبودية وتذلّل، وقدّم إليه الهدايا الوفيرة، وفرح بقبول عيسو بها[113].

أما بالنسبة إلى تاريخ العلاقات بين بني إسرائيل والأدوميين كشعبين، فيرى ابن حزم «أن بني إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بني عيسو»[114]، بل

---

(110) المرجع السابق، ج1، ص217 ـ 218. **تكوين** (15: 18).

(111) **تكوين** (15: 13 ـ 16).

(112) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص226 ـ 227. **تكوين** (25: 23 ـ 26). انظر أصداء هذه النبوءة في عوبديا (10 ـ 16)، وملاخي (1: 2 ـ 5). **ورسالة بولس إلى أهل رومية** (9: 10 ـ 13). وقارن أيضاً نقد ابن حزم لحزقيال (25: 13 ـ 14). **الفصل**، ج1، ص311.

(113) **تكوين** (32: 13 ـ 21)، (33: 8 ـ 11).

(114) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص227.

العكس هو الصحيح[115]. ولا يُعلم من أين أتى ابن حزم بهذا الحكم القاطع بعدم تغلّب بني إسرائيل على الأدوميين على مدى تاريخهم، فالنصوص تشهد على النقيض من ذلك، حيث:

- غزا داود أدوم وأقام عليها حراساً، وصار جميع الأدوميين عبيداً له[116]، وهرب هدد ـ أحد الأمراء الأدوميين ـ لاجئاً إلى مصر، وتذكر النصوص أن يوآب قائد جيش داود أباد كل ذكر في أدوم، ودامت إقامة بني إسرائيل في تلك البلاد ستة أشهر[117].
- قتل أمصيا ـ أحد ملوك يهوذا ـ في موقعة واحدة، عشرة آلاف من الأدوميين مطوِّحاً بهم من فوق قمةٍ صخرية على شفا وادي الملح، واستولى على عاصمتهم سالع[118].
- وإذا كانت العبرة بالنتائج، فقد تغلّب المكابيون نهائياً على الأدوميين في القرن الثاني ق م، إذ تمكّن يهوذا المكابي من استرجاع حبرون (الخليل) وغيرها من المدن من يد الأدوميين. ثمّ استطاع يوحنا هركانوس أن يرغمهم على الاختتان والدخول ضمن الجماعة اليهودية[119].

أفلا يعني هذا ـ انطلاقاً من هذه النصوص ـ تحقّق النبوءة من وجهة نظر يهودية؟ يبدو أنّ ظاهرية ابن حزم لا ترى وجهاً لتحقّق النبوءة إلا بالسيطرة المطلقة لبني إسرائيل على الأدوميين، على امتداد تاريخهم، بلا توقف ولا استثناء.

---

(115) عن تفوّق الأدوميين على بني إسرائيل انظر: **عدد** (20: 14 ـ 21)، أخبار ثاني (20: 1 ـ 30)، (21: 8 ـ 10)، (28: 17)، ملوك ثاني (8: 20 ـ 22). كما تحالف أحيانا الأدوميون مع بني إسرائيل، انظر ملوك ثاني (3: 4 ـ 27).

(116) **أخبار أول** (18: 11 ـ 13).

(117) **ملوك أول** (11: 14 ـ 22).

(118) **ملوك ثاني** (14: 7). **أخبار ثاني** (25: 11 ـ 12).

(119) انظر: **مكابيون أول** (5: 1 ـ 3، 63 ـ 66). **مكابيون ثاني** (10: 14 ـ 23)، (12: 32 ـ 37). **قاموس الكتاب المقدس**، مرجع سابق، مادة: الأدوميون، ص40. الهواري. **الختان**، مرجع سابق، ص61.

مباركة يعقوب لأفرايم

حسب أحد النصوص، علّل يعقوب ـ عند مباركته لابني يوسف ـ وضع يده اليمنى على رأس أفرايم الأصغر سنّاً من منسّى بكر أبيه، بأن أفرايم سيكون نسله أكثر عدداً من نسل منسّى[120]. ويرى ابن حزم أن النصوص تكذّب نبوءة يعقوب:

- إذ كان لبني منسّى 52,700 مقاتل، ولبني أفرايم 32,500 مقاتل، وذلك عند تقسيم يشوع الأرض بين بني إسرائيل[121].
- وكان من ملوك (قضاة) بني إسرائيل أربعة من نسل أفرايم ومثلهم من نسل منسّى[122].
- وقتل مفتاح بن علفاذ (يفتاح بن جلعاد) ـ وهو من بني منسّى ـ 42.000 قتيل من بني أفرايم[123].
- وبعد سليمان، كان من بني أفرايم ملكان فقط، ومن بني منسّى خمسة ملوك أقوياء[124].

واعتبر ابن حزم أن كون يوشع ودبورة وميخا المورشي من بني أفرايم، لا

---

(120) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص243. **تكوين** (48: 14، 17 ـ 19).

(121) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص243 ـ 244. حيث نسب ابن حزم خطأً هذه المعلومات إلى سفر يشوع، في حين وردت في **عدد** (1: 32 ـ 35)، مع اختلاف في الأعداد: من بني أفرايم 40,500 مقاتل، ومن بني منسّى 32,200 مقاتل. وجرى الإحصاء عند الخروج من مصر، وهو يدعم «النبوءة» ولا ينقضها.

(122) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص244. هذان العددان فيهما نظر، لأن سفر القضاة لم يذكر أنساب كل القضاة، ويمكن أن يكون ابن حزم استقى معلوماته من مصادر أخرى.

(123) **قضاة** (12: 1 ـ 7).

(124) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص244. والملوك المذكورون هم: يربعام وابنه ناداب من سبط أفرايم، ملوك أول من (11: 26) إلى (15: 32). أما من نسبهم ابن حزم إلى منسّى فهم: زكريا ابن يربعام (الثاني) بن يهوآش بن يهوآحاز بن ياهو، ملوك ثاني من (9: 1) إلى (15: 12). والأسماء الواردة هي حسب الضبط المتداول، أما في «الفصل» فقد ورد جلّها مصحَّفاً أو محرَّفاً، مع أخطاء في المفاضلة بين النسخ المخطوطة في التحقيق، حيث ثُبّت الصحيح في الهامش ووُضع الخطأ في المتن. وجدير بالذكر أن نسب ياهو ينتهي إلى نمشي، ملوك ثاني (9: 2).

يعني تحقّق النبوءة، لأنها تنصّ على المفاضلة في العدد لا في الشرف[125].

بقاء القيادة في نسل يهوذا:

تنبأ يعقوب ـ عند اقتراب وفاته ـ بعدم زوال القيادة من نسل يهوذا حتى يأتي المبعوث[126]. في حين انقطع الملك من نسل يهوذا العديد من المرات ولمدد طويلة:

- انقطع الملك بعد أحزيا (اخزيا) بن بورام (يورام) لمدة ستة أعوام[127].
- وانقطع بعد السبي البابلي لمدة 72 سنة إلى حين ولاية زربائيل (زربابل)[128].
- بعد زربائيل انقعطت الولاية جملةً من نسل يهوذا[129].
- ونبّه ابن حزم إلى أن هردوس (هيرودس) وبنيه ليسوا من بني يهوذا بل من الروم (هكذا)[130].

---

(125) يشوع بن نون هو من قاد بني إسرائيل في دخولهم فلسطين، وينسب إلى أفرايم حسب أخبار أول (7: 20 ـ 27). أما دبورة فهي نبية عاشت في عصر القضاة، ويذكر أنها كانت تقيم في جبل أفرايم، قضاة (4: 5). أما ميخا المورشي أو المورشتي نسبة إلى قرية مورشة / مورشت من أرض يهوذا، ميخا (1: 1، 14)، وهو صاحب السفر الذي يحمل اسمه، فيبدو أن ابن حزم خلط بينه وبين ميخا من جبل أفرايم، قضاة (17، 18).

(126) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص245. تكوين (49: 10).

(127) أحزيا بن يورام هو سادس ملوك يهوذا، قُتل على يد ياهو ملك إسرائيل، فقامت عثليا أم خزيا بقتل جميع بنيه ـ باستثناء يوآش الذي هرب طفلاً ـ لكي تنفرد بالملك. إلا أنه بعد ست سنوات خُلعت عثليا ونُصّب الكاهن الأعظم يوآش محلّها. فاعتبر ابن حزم أن مدة حكم عثليا فراغاً في الملك، لأن حكمها غير شرعي، على الرغم من أنها من نسل يهوذا. انظر: ملوك ثاني (11: 1 ـ 12). **أخبار ثاني** (22: 10 ـ 12).

(128) المدة بين خراب الهيكل الأول على يد نبوخذنصر البابلي وبناء الهيكل الثاني على يد زربابل هي 72سنة (587 ق م ـ 515 ق م). وزربابل من نسل يهوذا. **متى** (1: 3 ـ 12). **لوقا** (3: 27 ـ 33).

(129) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 246. تولّى الهارونيون الحكم بعد زربابل بدءًا من عزرا ونحميا (انظر سفريهما)، كما كان المكابيون من نسل هارون.

(130) آل هيرودس هم حكّام فلسطين تحت السيطرة الرومانية، وامتد حكمهم إلى عهد المسيح، وهم ينسبون إلى الأدوميين الذين أدخلهم المكابيون عنوة في اليهودية.

ثم ردّ ابن حزم على ابن النغريلة، الذي يرى أن رؤوس الجواليت يمثّلون امتداداً لسلطة بني يهوذا، بأن هؤلاء لا يملكون سلطة فعلية[131]. فظاهرية ابن حزم لم تفهم من النص إلا ضرورة استمرار الملك السياسي بلا انقطاع في نسل يهوذا، ورفضت بقية أنواع السيادة، وفي هذا تشدّد زائد في فهم نص رمزي.

لم يستنتج ابن حزم من عبارة «المبعوث الذي هو رجاء الأمم»[132] ما يفيد البشارة بنبي الإسلام ﷺ، وربما يرجع ذلك إلى «التناقض» الذي قيّم من خلاله النص، فنزع عنه كل قيمة أو فائدة.

ب ـ البشارات بمحمد ﷺ:

يُعدُّ ابن حزم مقتصداً في مجال البحث عن البشارات بنبي الإسلام ﷺ في العهد القديم، إذ لم يكثر من إيراد النصوص[133]. ويتفق هذا مع منهجه الظاهري الذي ينشد الوضوح وينفر من النصوص الرمزية الغامضة.

والظاهرية الحزمية لا ترفض المجاز، ولكنها تقبله إذا دلّت عليه قرينة ثابتة[134]. والقرينة ـ بالنسبة لهذا الصنف من النبوءات ـ هي المرجعية الإسلامية التي أكّدت وجود مثل هذه البشارات في التوراة[135]، كما أنها تمثّل طرفاً في المقارنة بالنصوص اليهودية، لأجل بيان انطباق الأوصاف والنعوت على الإسلام ونبيه. فالمرجعية الإسلامية هي القرينة الثابتة التي تحوّل المعنى من ظاهر اللفظ إلى مستتر المجاز، والقرينة هنا من خارج النص لا من داخله. ويأتي ثباتها من كونها وحياً من الله تعالى.

---

(131) ابن حزم، **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص245 ـ 246.

(132) المرجع السابق، ج1، ص 245، تكوين (49: 10)، وفي الترجمة الحديثة «شيلون وله خضوع شعوب». وعندما أعاد ابن حزم النص قال «المبعوث الذي هو رجاؤهم»، فيبدو أن البعد الأممي لرسالة «المبعوث» قد فاته.

(133) المرجع السابق، ج1، ص181 ـ 182، 194 ـ 195، 309 ـ 310. لم يخصّص ابن حزم فصلاً لهذا الموضوع إلا في: الأصول والفروع: ص187 ـ 190، انظر أيضاً: ص204.

(134) يسمّي ابن حزم القرينة الثابتة بالدليل. انظر: **الإحكام في أصول الأحكام**، مرجع سابق، مج1، ج4، ص28 ـ 37.

(135) انظر: البقرة (2: 146)، الأنعام (6: 20)، الأعراف (7: 157)، الفتح (48: 29).

والمرجعية الإسلامية ملزِمة لليهود من حيث الشهادة على بقاء جزء من كتابهم لم تمسّه يد التبديل والتحريف، فعليهم الإيمان بهذا الجزء ـ وإن قلَّ ـ كإيمانهم بالكلّ. وإن كانت يد التحريف قد غفلت عن بعض النصوص الرمزية التي تكتفي بالتلميح دون التصريح، فإنها أصابت بالحذف النصوص الصريحة التي لا لبس فيها، والتي أشار إليها القرآن الكريم. وهذا ـ في نظر ابن حزم ـ دليلٌ كاف على التحريف وعلى وجوب الكفر بالتوراة التي بين أيدي اليهود[136].

وعلى الرغم من حذر ابن حزم وحرصه على الانسجام مع ذاته، فإن ظاهريته قد مرّت بامتحان عسير، فموقفه يبدو متناقضاً بين التشدّد في رفض النبوءات التي يمكن أن تؤوّل لصالح اليهودية أو النصرانية، وبين التساهل في قبول النبوءات التي تأوّلها لصالح البشارة بنبي الإسلام. وتوضّح الأمثلة بعض هذه الصعوبات:

بركة إسماعيل:

اعتبر ابن حزم المقصود بالبركات التي نالها إسماعيل هو محمد ﷺ وأهل ملته من العرب خاصة باعتبارهم من نسل إسماعيل، فإليهم انتقلت النبوة من بني إسرائيل. من بين هذه النصوص وعد ملاك الله لهاجر بأن يكون ابنها «يده فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع»[137]. وهكذا صارت أيدي العرب بفضل بعثة محمد ﷺ «فوق أيدي الجميع، وأيدي الجميع إليهم مبسوطة بالخضوع»[138]. فهل يسمح الأصل بمثل هذه الترجمة وهذا التعليق؟

جاء في الأصل العبري: «"יָדוֹ בַכֹּל וְיַד כֹּל בּוֹ"» وترجمته الحرفية: «يده بالكل ويد الكل به»، وفي الترجمة الحديثة «يده على كل واحد ويد كل واحد عليه». وأمام هذا الاختلاف يفقد النقد قيمته، فما لإسماعيل يعادل ما عليه فلا فضل له ولا امتياز.

---

(136) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص183.

(137) ابن حزم. **الأصول والفروع**، مرجع سابق، ص187، قارن: **تكوين** (16: 12).

(138) ابن حزم. **الأصول والفروع**، مرجع سابق، ص187.

جبال فاران:

استشهد ابن حزم بالنص التالي: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[139]. فاعتبر أن سيناء هي مبعث موسى عليه السلام، وساعير مبعث المسيح عليه السلام، أما فاران فهي جبال مكة حيث بُعث محمد ﷺ.

ودليل ابن حزم على أن فاران هي مكة، هو أن التوراة ذكرت أن «إبراهيم عليه السلام أسكن إسماعيل فاران[140]، ولا خلاف بين أحد في أنه إنما أسكنه مكة»[141]. فهل هناك إجماع حقّاً على أن فاران التي أسكن فيها إبراهيم ابنه هي مكة؟

باستقراء نصوص العهد القديم يمكن تحديد موقع فاران كما يلي، فهي «برية واقعة إلى جنوب يهوذا... وشرق برية بئر سبع وشور... بين جبل سيناء (والأصح بين حضيروت الواقعة على مسيرة أيام من سيناء) وكنعان... وكانت فيها قادش... وبطمة فاران أو إيلة (إيلات اليوم) على البحر الأحمر...»[142]. ومن الدلائل على قرب فاران من فلسطين، مرور موسى بها مع بني إسرائيل أثناء فترة التيه[143]، كما مرّ بها داود إثر وفاة النبي صموئيل[144].

وفي الحقيقة، إن مطابقة فاران بمكة مردّه إلى المرجعية العربية الإسلامية التي تعتبر مكة هي المكان الذي ترك فيها إبراهيم ابنه إسماعيل، وهذا أمر غير مسلّم به عند الجميع، بما في ذلك نصوص التوراة ذاتها[145].

---

(139) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص194. **الأصول والفروع**، مرجع سابق، ص188، 204. قارن **تثنية** (33: 2).

(140) انظر: **تكوين** (21: 20 ـ 21).

(141) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص194.

(142) **قاموس الكتاب المقدس**، مادة: فاران، ص667.

(143) انظر: **عدد** (10: 11 ـ 12).

(144) انظر: **صموئيل أول** (25: 1).

(145) لمزيد من الاطلاع على الآراء المختلفة حول فاران في المصادر الإسلامية واليهودية، انظر: السقا. **البشارة بنبي الإسلام**، ج1، ص259 ـ 294.

بشارات الزبور:

استخلص ابن حزم ثلاث بشارات دفعة واحدة من مزمور واحد[146]. وفيما يلي مقارنتها بالترجمة الحديثة المطابقة للأصل العبري:

الفصل	الترجمة الحديثة
1 ـ أن العرب وبني سبأ يؤدون إليه المال ويتبعونه...	أمامه تجثو أهل البرية... ملوك شبا وسبأ يقدمون هديّة... (72: 9 ـ 10
2 ـ وأن الدم يكون له عنده ثمن.	يشفق على المسكين والبائس، ويخلّص أنفس الفقراء. من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه (72: 13 ـ 14).
3 ـ ويظهر من المدينة.	تكون حفنة برّ في الأرض في رؤوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. (72: 16).

لا مجال هنا للمقارنة الحرفية بين النصوص، لأنها وردت في «الفصل» ملخَّصة ومقتصرة على محلّ الشاهد، كما أن وجود «أن» المصدرية في أول الكلام دليل على أنه بالمعنى. وإنما القصد إعادة النص إلى سياقه الأصلي لمعرفة أوجه الاستدلال الممكنة منه، وتقييم ما ذهب إليه ابن حزم في التأويل:

- لم ير ابن حزم حاجة إلى التعليق على النص الأول، فهو ناطق بذاته، مبشّراً بخضوع العرب لمحمد ﷺ. في حين أن ترجمة كلمة (צִיִּים) بالعرب فيها تصرّف[147]، ويمكن عدّها ترجمة تفسيرية.
- أما النص الثاني، فعلق عليه بأنه يشير إلى «الدية التي ليست إلا في ديننا»[148]. وهذا الفهم لا يقصده النص بالضرورة إذ يمكن أن نفهم منه

---

(146) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص309 ـ 310.

(147) ترجمت هذه الكلمة في الترجمة الحديثة بـ«أهل البرية»، ويمكن تترجم بـ«الصحراويون».

(148) المرجع السابق، ج1، ص309. لا وجود للدية في الشريعة اليهودية، انظر خروج (21: 12 ـ 36)، عدد (35: 9 ـ 28)، إلا أن الدية كانت معروفة في بعض القوانين البابلية والحثية القديمة، انظر: مجموعة من المؤلفين. **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم**، ترجمة: أسامة سراس. ط1، دمشق: دار العربي، 1988م، ص36 ـ 46.

مجرد التنويه بقيمة الإنسان وبالمساواة بين البشر والعدالة.

- أما لفظة «المدينة» الواردة في النص الثالث، فلا تعني بالضرورة «المدينة المنورة»، أي يثرب، كما فهم ابن حزم.

وعموماً يمكن توجيه هذه النصوص الثلاثة توجيهاً مسيحانياً، سواء أكان ذلك وفق المعتقد اليهودي أم المعتقد النصراني، أو اعتبارها تمجيداً لداود وسليمان[149].

5 ـ الجغرافية:

لم يكتف ابن حزم بنقد النصوص من الزاوية التاريخية، بل نظر إليها أيضاً من الزاوية الجغرافية، وأحياناً تتداخل الزاويتان في بعض النقاط، كما مرّ بنا عند الكلام عن «فاران».

لقد كانت جغرافية العهد القديم ـ ولا تزال ـ مثارة للجدل، خصوصاً عندما تختلط خيوط الأسطورة بالمعالم الأرضية لرسم خريطة «نشكونية»[150]، مثل خريطة جنة عدن التي سكنها آدم وحواء والدا البشرية. وهذا هو النص الوحيد من هذا القبيل الذي نقده ابن حزم بشكل مباشر، وإن كانت الجغرافية قد أثرت بطريق غير مباشرة في نقده لنصوص أخرى.

وما يؤثّر في قيمة نقد ابن حزم لوصف أنهار الجنة في التوراة، اعتماده ترجمةً تفسيرية للنص، مما جعل النقد يذهب مذهباً خاصاً به. وفيما يلي مقابلة بين ترجمة «الفصل» والترجمة الحديثة المطابقة للأصل العبري في حرفيته[151].

---

(149) الاحتمال الأخير يرجّحه مطلع المزمور (72: 1) «اللهم اعط أحكامك للملك وبرّك لابن الملك»، فهو دعاء لداود وابنه سليمان، وهكذا تكون «أورشليم» هي «المدينة» المشار إليها.

(150) مصطلح مركّب من كلمتين «نشأة» و«كون» Cosmogony ويُقصد به الأساطير المتعلّقة بأصل الكون وتكوين العالم في الديانات القديمة خاصة.

(151) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص203. **تكوين** (2: 10 ـ 14).

الفصل	الترجمة الحديثة
ونهر يخرج من عدن فيسقي الجنان، ومن ثمّ يفترق فيصير أربعة أرؤس اسم أحدها **النيل**، وهو محيط بجميع بلاد **زويلة** الذي به الذهب، وذهب ذلك البلد جيد، وبها اللؤلؤ وحجارة البلور. واسم الثاني **جيحان** وهو محيط بجميع بلاد **الحبشة**. واسم الثالث **الدجلة**، وهو السائر شرق **الموصل**. واسم الرابع الفرات.	وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الواحد **فيشون**، وهو المحيط بجميع أرض **الحويلة** حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد، هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني **جيحون**، وهو المحيط بجميع أرض **كوش**. واسم النهر الثالث **حدّاقل**، وهو الجاري شرقي **أشور**. والنهر الرابع الفرات.

الغرض من هذه المقابلة هو معرفة أثر الاختلافات في تحديد أسماء الأماكن والأنهار على النقد. وقبل الخوض في ذلك، فيما يلي تلخيص للنقد في ثلاث نقاط[152]:

أ ـ اعتبر ابن حزم القول بأن مخارج الأنهار الأربعة (النيل وجيحان[153] والدجلة والفرات) ترجع إلى نهر واحد محض افتراء، لأن مخارج هذه الأنهار معروفة ومحدّدة جغرافياً.

ب ـ وكذلك القول بأن جيحان محيطٌ ببلاد الحبشة، لأنه لا يوجد بأرض السودان والحبشة والنوبة سوى نهر واحد هو النيل.

ج ـ كما أن اللؤلؤ مصدره بحر فارس (الخليج العربي) وبحر الهند والصين، وليس بلاد زويلة[154].

---

(152) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص203 ـ 205.

(153) عرفه ابن حزم كما يلي: «فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم، ويمرُّ ما بين المصيصة وربضها المسمّى كفربيّا حتى يصبّ في البحر الشامي (الأبيض المتوسط) على أربعة أميال من المصيصة». **الفصل**، ج1، ص204. ولفظ ياقوت الحموي مقارب لهذا التعريف، مما يوحي باستقائهما من مصدر واحد، انظر: **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، دار بيروت، د.ت. ج2، ص196.

(154) لم يحدّد ابن حزم موقع بلاد زويلة. ويطلق هذا الاسم على عدة مواقع أقربها إلى نهر النيل محلة وباب بالقاهرة. أما زويلة السودان فبعيدة نسبياً، وهي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء بين السودان وإفريقية. ويُستبعد أن يقصد ابن حزم بزويلة المهدية عاصمة العبيديين. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص160. وجاء في: رسالة في جمل =

وتُسجَّل على النقد الملاحظات الآتية:

أ ـ إن النص الأصلي يتكلّم عن فيشون (أو پيشون) פִּישׁוֹן[155] بأرض الحويلة הַחֲוִילָה[156]، لا عن النيل ببلاد زويلة.

ب ـ كما أنه يتكلّم عن جيحون גִּיחוֹן[157] لا عن جيحان الذي ذُكر في «الفصل».

ج ـ ورد في النص الأصلي المقل הַבְדֹּלַח[158] لا اللؤلؤ.

وثمة ملاحظات أخرى لا تؤثر سلباً في النقد، تتمثل في تعريب بعض الأسماء بما هو متداول في عصر ابن حزم:

أ ـ كترجمة لفظة كوش כּוּשׁ بالحبشة[159]، وهي الترجمة الشائعة إلى اليوم. إلا أن بعض مفسّري الكتاب المقدس حاولوا الربط بين كوش، في هذا النص، وأرض عيلام (إيران) وبلاد الرافدين. وقصدهم هو تقريب الشقة

= فتوح الإسلام، ضمن: رسائل ابن حزم، ج2، ص128، أن عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة 19هـ «انتهى مفتتحًا إلى برقة وزويلة فصالحهما وبلغ أطرابلس». وزويلة المذكورة هنا هي زويلة السودان على الأرجح. ولقد ترجمت حويلة بزويلة أيضاً في: **الفصل**، ج1، ص211. **تكوين** (10: 7). ويلاحظ أن الفارق بين «حويلة» و«زويلة» ـ من حيث الكتابة ـ هو الحرف الأول فقط.

(155) توجد آراء وفرضيات كثيرة حول هذا النهر.

(156) اختلفت الأنظار في تحديد موقع الحويلة بين شبه الجزيرة العربية وشرقي إفريقيا.

(157) اختلفت وجهات النظر أيضاً في تحديد موقع هذا النهر. أما نهر جيحون المعروف لدى الجغرافيين المسلمين فهو نهر كبير يجيء من ناحية السند والهند وكابل، ويصب في بحيرة خوارزم. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**، ج2، ص196 ـ 197.

(158) عُرّف في قاموس الكتاب المقدس (مادة: مقل، ص910) بأنه «صمغ ذو رائحة طيبة وهو عربي وهندي وإفريقي... على هيئة دموع مستديرة أو بيضوية الشكل... وظنّ بعضهم أن المراد بالكلمة العبرانية الأصلية هو الدر». وجاء في: قوجمان، قاموس عبري ـ عربي، «בדלח ـ بلور، صمغ راتنجي شبيه بالمر».

(159) أشار ابن حزم إلى تناقض آخر منشؤه لفظة «كوش»، حيث ورد في التوراة، عدد (12: 1)، لوم هارون ومريم أخاهما موسى لزواجه بامرأة حبشية (كوشية)، في حين أنها ابنة يثرون المدياني، **خروج** (2: 21 ـ 22)، والمديانيون يُنسبون إلى مدين بن إبراهيم من زوجته قطورة، **تكوين** (25: 2، 4). انظر: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص280.

بين البلدان المذكورة في النص.

ب ـ كما ترجمت لفظة حدّاقل חִדֶּקֶל بالدجلة التسمية العربية المعروفة.

جـ ـ وترجمت لفظة أشور אַשּׁוּר بالموصل، وهي ترجمة مقبولة، لأن خرائب مدينة نينوى عاصمة الأشوريين تقع على الضفة المقابلة لمدينة الموصل على نهر دجلة.

بمنأًى عن مشاكل الترجمة، فإن جوهر النقد الذي قدّمه ابن حزم لا يزال قائماً، فالتوراة تتحدّث عن جنة أرضية لا سماوية، وتذكر تفاصيل يصعب التوفيق بينها وبين الواقع الجغرافي. وهذا ما جعل أنظار اليهود النصارى تختلف وتتضارب حول تحديد موقع جنة عدن(160).

يمكن اعتبار نقد ابن حزم لهذا النص نقداً من قبل الجغرافية الوسيطية شبه العلمية ـ القائمة على الرحلات والملاحظة وشيءٍ من الحساب ـ للجغرافية الأسطورية الرمزية. ويتضح الجانب الرمزي هنا في تصوير جنة عدن كقلب للعالم، تنبع منه المياه الأزلية التي تمدّ الأنهار الكبرى الخالدة. وهذه نزعة عُرفت بها الديانات القديمة، حيث كثيراً ما اعتبرت معابدها وأماكنها المقدسة مراكز للكون منها انبثقت الحياة وأشرق نور أول يومٍ على الأرض(161).

---

(160) لمزيد من الاطلاع على الآراء المختلفة حول مواقع جنة عدن وأنهارها، انظر القواميس والموسوعات العديدة للكتاب المقدس، المواد: فيشون Pishon/Pison جيحون Gihon، حويلة Havilah، كوش Cush، عدن Eden.

(161) انظر تفاصيل هذه النظرية كما شرحها مرسيا إلياد Mircea Eliade في كتابيه: المقدس والدنيوي، ص37 ـ 47. أسطورة العود الأبدي، ترجمة: نهاد خياطة. ط1، دمشق: دار طلاس، 1987، ص31 ـ 39. هذا التحليل للبعد الأسطوري للنص لا يمكن أن يقبله ـ بطبيعة الحال ـ «الظاهريون» من اليهود والنصارى والمسلمين عبر العصور. وكإسهام حديث وجريء في الجدل المفتوح حول الجغرافية الكتابية، يرى كمال الصليبي أن المسرح الحقيقي لأحداث التوراة ليس فلسطين، بل منطقة السراة وعسير بمحاذاة الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر شمالي اليمن. فجنة عدن بأنهارها الأربعة موجودة حسب هذه النظرية في المنطقة المذكورة. انظر: **التوراة جاءت من جزيرة العرب**، ترجمة: عفيف الرزاز. ط2، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1986م، خاصة الفصل 16: زيارة لعدن، ص271 ـ 280. وانظر نقد فراس السوّاح لنظرية الصليبي في: **الحدث** =

6 ـ تناقض النصوص

إن مفهوم التناقض ـ أو التكاذب كما عبّر عنه ابن حزم أحياناً ـ ينطبق على المحاور السابقة بطريقة أو بأخرى، سواء تعلق الأمر بالتناقض بين النصوص ذاتها أم بينها وبين مرجعيات النقد: كبدائه العقول أو الحساب أو التاريخ أو الجغرافية...

أما التناقض المقصود هنا فهو التناقض المحض بين النصوص، من دون أن يكون له علاقة مباشرة بمحاور النقد المذكورة آنفاً. فيكفي أن يتنافى معنى أحد النصوص مع معنى نص آخر ـ بحيث لا يمكن تصديقهما معاً ـ لكي يُرفض النصان كلاهما، ويسحب حكم الكذب على الكتاب كلّه. ومن أمثلة ذلك:

أ ـ تناقض تحويل هارون لكل مياه مصر إلى دم مع قيام السحرة ـ بعد ذلك مباشرة ـ بالعمل نفسه. فأي ماء بقي ليتحوّل على أيديهم إلى دماء[162]؟ يمثل هذا النقد فهماً ظاهرياً للنص، فهو لم يذكر رجوع المياه إلى حالتها الأولى قبل قيام السحرة بسحرهم.

ب ـ تناقض موت جميع دواب المصريين من جرّاء الوباء الذي سلّطه الله عليهم على يد موسى وتوصيتَه ـ بعد يوم أو يومين ـ فرعون وشعبه بإدخال أنعامهم إلى بيوتهم قبل نزول عقوبة البرد[163].

ج ـ جاء وصف المنّ ـ الذي أنزله الله على بني إسرائيل في برية سيناء ـ في نصين، أولهما: «وكان أبيض شبيهاً بزريعة الكزبر ومذاقه كمذاق السميذ المعسَّل»، وثانيهما: «كان المنّ شبيهاً بزريعة الكزبر، ولونه إلى الصفرة، وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت»[164]. رأى ابن حزم أن النصين

= **التوراتي والشرق الأدنى القديم**، ط1، دمشق: دار المنارة، 1989م، خاصة ص238 ـ 244، حيث رفض السواح اعتبار كوش هي كوثة العربية، وأصرّ على كونها بلاد النوبة.

(162) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص250. **خروج** (7: 19 ـ 24).

(163) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص251 ـ 252، **خروج** (9: 3 ـ 7، 18 ـ 26). لا يوجد في النص ما يثبت أن المدة الفاصلة بين العقوبتين هي يوم واحد أو يومان.

(164) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص254 ـ 255. قارن: **خروج** (16: 31)، عدد (11: 7 ـ 8).

متناقضان في صفة المنّ ولونه وطعمه. وإن كان طعم العسل يختلف عن طعم الزيت، فإنه لا يوجد تضارب حقيقي بين اللون الأبيض واللون الضارب إلى الصفرة. هذا مع العلم أن الترجمة الحرفية للنص الثاني هي: «ومنظره كمنظر المقل»، مما يدل على أن ترجمة «الفصل» ترجمة تفسيرية، اقتصرت على وجه الشبه بين المنّ والمقل وهو اللون الضارب إلى الصفرة.

هذه هي المحاور الكبرى التي دار حولها النقد الداخلي. ويجدر التذكير أنها وردت في «الفصل» و«الأصول والفروع» و«الرد على ابن النغريلة اليهودي» بشكل متداخل ومتشابك، وفُصل بينها هنا للضرورة المنهجية.

ثانياً: النقد الخارجي

على الرغم من كون هذا النقد موجهاً أساساً إلى الأسفار التوراتية الخمسة، إلا أنه يمكن سحبه ليشمل جميع أسفار العهد القديم. ويبرز هذا النمط من النقد قدرات ابن حزم مؤرخاً ومحدِّثاً في آن معاً.

اعتمد ابن حزم في عمله هذا الأسفار التاريخية للعهد القديم[165] مصادر وشواهد على وقوع التحريف. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: أكان ابن حزم منسجماً مع ذاته عندما اتّخذ من هذه الأسفار مستنداً تاريخياً بعدما بيّن أخطاءها وتناقضاتها طيلة فصول عديدة من «الفصل»، أم أن للجدل ضروراته؟

لقد تعامل ابن حزم مع هذه الأسفار بمنطق جدلي، ينطلق من مقدمات يقرُّ الخصم بصحتها ـ وهي الروايات التاريخية اليهودية ـ ليصل إلى نتيجة هي دعوى الناقد بأن التوراة محرّفة. فمنطق الجدل هنا «من لسانك أدينك»، من دون أن يعني ذلك قبول ابن حزم بكل ما قاله هذا «اللسان»، فرفض مثلاً ما نُسب إلى داود وسليمان من انحرافات لا تتفق مع مفهوم النبوة في الإسلام[166].

---

(165) بصفة خاصة أسفار: يشوع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، ملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأول والثاني. انظر عمود التخريج في الجدول أسفله.

(166) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص290.

إلا أنه أبدى شيئاً من الثقة والقبول بالنسبة لمعظم الروايات التاريخية، فالعهد القديم ظل لعصور طويلة ـ قبل ابن حزم وبعده ـ المصدر الأول ـ بل ويكاد يكون الوحيد ـ للتاريخ اليهودي.

1 ـ تاريخ التوراة من موسى إلى عزرا:

يرجع أصل التوراة التي بين أيدي اليهود ـ حسب نصوصهم نفسها ـ إلى عزرا الورّاق (الكاتب) الهاروني الذي دوّنها في حافظته بعد العودة من السبي البابلي[167]. وداخل المجال التاريخي بين موسى وعزرا يتحدّد النقد الخارجي متسائلاً: هل توراة عزرا هي نفسها توراة موسى؟

استحضر ابن حزم في ذهنه النموذج القرآني للوحي، الذي اتّصل فيه التنزيل بالنقل المتواتر، والحفظ بالتدوين والانتشار الواسع. وعلى العكس من ذلك كان حال التوراة، إذ تخلّلت القرون الطويلة الفاصلة بين موسى وعزرا اضطرابات كبيرة وعديدة وانحرافات خطيرة مسّت جوهر العقيدة وصلب الديانة، مما جعل أدنى شروط حفظ النص غير متوفرة.

ويمكن تلخيص المراحل التي مرّت بها التوراة في تاريخها، والملاحظات النقدية التي أبداها ابن حزم بخصوص كل مرحلة، كما يلي:

أ ـ كانت طاعة بني إسرائيل لموسى مدخولة وضعيفة، على الرغم من كونه صاحب فضلٍ كبيرٍ عليهم، فهو مخلّصهم من نير المذلة والعبودية[168].

ب ـ بعد وفاة موسى، حكم بني إسرائيل «مدبّروهم»، وهم القضاة **שׁוֹפְטִים**. ودُوِّن تاريخهم في سفر خاص يحمل اسمهم. ويبدو أن ابن حزم قد اعتبر

---

(167) عاش عزرا في القرن الخامس ق. م، أي بعد موسى بزهاء ثمانية قرون، باعتبار أن موسى عاش في القرن الثالث عشر ق م على أرجح الأقوال. ويعظّم اليهود عزرا ويعتبرونه مؤسس نُظُم اليهودية المتأخّرة، وينسبون إليه جمع الأسفار المقدّسة وتنظيمها. انظر: **عزرا** (7: 1) ـ (10: 44)، **نحميا** (7: 73) ـ (9: 5).

(168) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص303 ـ 304، حيث أشار ابن حزم إلى تمرّد بني قورح، **عدد** (16)، وإلى عبادة العجل، **خروج** (32)...

يوشع (يشوع) بن نون خليفة موسى أول القضاة لا عشنيال (عثنيئيل) كما توحي بذلك النصوص[169]. وتميزت مرحلة القضاة بتذبذب إيمان بني إسرائيل وإضرابه، حيث ارتدوا خلالها «سبع ردّات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام»[170].

ج ـ انتهت مرحلة القضاة بتنصيب شاول ملكاً ـ وهو طالوت في القرآن الكريم ـ ثم تلاه في المُلك داود فابنه سليمان. وبلغت المملكة الموحَّدة أوج مجدها في عهد سليمان، الذي أتمّ بناء الهيكل ببيت المقدس (أورشليم). لم يرفض ابن حزم ما نُسب إلى شاول من انحرافات، ولكنه اعترض بشدّة على ما نُسب منها إلى داود وسليمان[171].

د ـ بعد وفاة سليمان انقسمت مملكته مملكتين، إحداهما: مملكة الأسباط العشرة (إسرائيل) في الشمال، وعاصمتها مدينة نابلس (شكيم)[172]. دام ملكها 271 سنة إلى حين القضاء عليها على يد سليمان الأعسر (شلمنآسر) ملك الموصل (أشور)، الذي أسر سكانها، وأحل محلّهم قوماً من بلده عرفوا باسم السامرية[173]. وعُرف الملوك العشرون للأسباط العشرة بالكفر الشديد واضطهاد الأنبياء[174].

هـ ـ وثانيهما: مملكة يهوذا في الجنوب، وعاصمتها بيت المقدس (أورشليم). ضمّت سبطي يهوذا وبنيامين، وحكمها عشرون ملكاً من نسل سليمان

---

(169) انظر: **قضاة** (1: 1) ـ (3: 11).

(170) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 290. ونقد هذه المرحلة عموماً في ص287 ـ 290. وتمتد مرحلة القضاة ـ حسب التقديرات الحديثة ـ من 1368 إلى 1050 ق. م.

(171) المرجع السابق، ج1، ص290.

(172) كانت شكيم عاصمةً لإسرائيل في بداية عهد يربعام، ملوك أول (12: 25). وعرفت هذه المملكة عواصم أخرى، أدومها السامرة قريباً من شكيم.

(173) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص294 ـ 297. امتد ملك إسرائيل ـ حسب التقديرات الحديث ـ نحو قرنين من الزمان: من 933 إلى 721 ق. م.

(174) أطلق ابن حزم حكماً عاماً على مملكة إسرائيل، حيث قال: «لم يكن فيهم نبيٌّ قط إلا مقتولاً أو هارباً مخافاً»، المرجع السابق، ج1، ص294. وضرب مثلاً واحداً هو هروب إلياس (إيليا) من آخاب وزوجته، ص295، ملوك أول (19).

لمدة أربعة قرون إلا أعواماً، حتى القضاء عليها على يد يختنصر (نبوخذنصّر) ملك بابل، الذي هدم الهيكل وسبى السبطين[175]. ولم يعرف الإيمان من ملوك يهوذا سوى خمسة منهم فقط على أقصى تقدير. كما نال الأنبياء ـ في عصور الكفر المتعاقبة ـ كثيرٌ من الأذى والاضطهاد[176].

و ـ كانت التوراة ـ منذ وفاة موسى إلى نهاية مملكة يهوذا ـ عند الكوهن الأكبر وحده، متنقلة في البدء مع السرادق (خيمة الاجتماع)، ثم استقر بها المقام داخل الهيكل[177]. وشكّك ابن حزم في أمانة هؤلاء الكهنة الذين تعاقبوا على حفظ التوراة ففيهم من الكفر والفسوق ما في غيرهم من بني إسرائيل، «ومن هذه صفته فلا يُؤمن عليه تغيير ما ينفرد به»[178].

ز ـ تعرّضت التوراة لصنوف من الإهمال والتلف، فقد نشر منها بالمنشار يهوياحوز (يهو آحاز) بن يوشيا أسماء الله حيث وجدها. كما أحرقها بعده أخوه يهوياقيم[179]. وخلال تاريخ مملكة يهوذا، تعرضت عاصمتها بيت

---

(175) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص291 ـ 294، 297 ـ 298. امتد ملك يهوذا ـ حسب التقديرات الحديثة ـ من 933 إلى 586 ق. م.

(176) المرجع السابق، ج1، ص292 ـ 293. ذكر ابن حزم من الأنبياء: زكريا، أخبار ثاني (24: 20 ـ 22). أما عاموص (عاموس) فلم يرد شيءٌ عن نهايته في سفره، ولا يُعلم من أين استقى ابن حزم خبر قتله. وأما نشر إشعياء بالمنشار بأمر من منسّى بن حزقيا، فمصدره سفر «صعود إشعياء»، أحد الأسفار الأبوكريفية:

The Ascension of Isaiah, op. cit., p. 41.

(177) بالنسبة لموضع التوراة، انظر: **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص287، 291، 294. استدلّ ابن حزم على كون التوراة عند الكوهن الأكبر وحده (ص ص299 ـ 301) من خلال: **تثنية** (10: 1 ـ 5)، (31: 24 ـ 26)، ثم ذكر (17: 14 ـ 15، 18 ـ 19). ولم يكن الكوهن الأكبر يقرأ التوراة على عموم بني إسرائيل إلا في ثلاث مناسبات في السنة (ص 300)، **تثنية** (31: 9 ـ 12)، (16: 16). وحسب التوراة، لم يُلزم موسى بني إسرائيل سوى بكتابة سورة (نشيد) واحدة فقط وحفظها (ص ص301 ـ 303)، **تثنية** (31: 19 ـ 30)، (32: 1 ـ 43). ثم عاد ابن حزم ونقد هذا النص (ص 303).

(178) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص301. استشهد ابن حزم هنا بقصة ضلال ابني عالي الكاهن الهاروني، صموئيل أول (2: 22 ـ 25)، (3: 12 ـ 14)، (4: 10 ـ 22).

(179) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص 294. لا يُعلم مصدر ابن حزم فيما نسب إلى =

المقدس للإغارة أربع مرات، كان أخرها على يد بختنصر البابلي، الذي هدم الهيكل المكان الوحيد الذي توجد به التوراة[180].

وباختصار شديد يمكن القول: نظراً لغلبه الكفر على بني إسرائيل ـ حكّاما ومحكومين ـ لحقب طويلة، وانحصار تداول التوراة داخل نطاق ضيق من الكهنة المشكوك في أخلاقهم، داخل الهيكل الذي عانى من الغارات المتكررة والتخريب، ونظراً لتعرض التوراة ذاتها مراراً للتلف والإهمال، ولاضطهاد الأنبياء الذين من شأنهم الحفاظ على تواصل كلام الله، وأخذاً بعين الاعتبار ضيق المجال الجغرافي الذي جرت فيه هذه الأحداث، وكون بني إسرائيل الأتباع الوحيدين لكتابهم[181] فان النتيجة الحتمية لكل هذه العوامل المتضافرة هي تحريف التوراة وتبديلها.

وفيما يلي جدول يلخص مراحل تاريخ بني إسرائيل من وفاة موسى إلى السبي البابلي، اعتماداً على المعلومات التي أوردها ابن حزم، مع بعض التعليقات النقدية عليها عند اللزوم[182]. ولقد ذكر ابن حزم كل حكام بني إسرائيل في الحقبة المذكورة، وبيّن أحوال تدينهم من كفر وإيمان، وحدد مدد ولاياتهم. كما يبين الجدول الجهود التي بذلها ابن حزم ـ المؤرّخ البارع ـ في استقراء النصوص وتوظيفها حيث استقى معلوماته من أزيد من ثمانية أسفار.

= يهو آحاز. أما يهوياقيم ـ حسب إرميا (36) ـ فقد أحرق الرسالة التي أرسلها إليه إرميا مدوّنا فيها ما أوحاه الله إليه.

(180) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص291، 296، 298. ذكر ابن حزم غارة صاحب مصر (شيشق) في عهد رحبعام، ملوك أول (14: 25 ـ 28)، أخبار ثاني (12: 2 ـ 12). أما في عهد أمصيا، فلم تقع إلا غارة واحدة على يد يوآش ملك إسرائيل، ملوك ثاني (14: 13 ـ 5)، أخبار ثاني (25: 23 ـ 24). ولم يُذكر شيءٌ عن غارةٍ نسبها ابن حزم إلى يربعام بن يوآش. وعن الغارة البابلية انظر: أخبار ثاني (36: 5 ـ 21).

(181) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص290.

(182) ما بين قوسين من الأسماء في الجدول، يمثّل الكتابة العربية المتداولة. أما ما بين قوسين من الأرقام، فحسب النصوص الأصلية. وتدل العلامة (؟) على عدم المعرفة بمصدر المعلومة التي أوردها ابن حزم. أما عمود التوثيق فهو إضافة من الباحث. ويلّخص الجدول ما جاء في: المرجع السابق، ج1، ص287 ـ 298. وأيضاً: الملحق (2). **ذكر أوقات الحكّام من بني إسرائيل**، ضمن (رسائل ابن حزم)، ج2، ص209 ـ 218.

العهد	المدة بالسنين	الحالة الدينية	التوثيق
القضاة:			
1 ـ يوشع (يشوع)	31 (؟)	الإيمان	يش كله
2 ـ فينحاس	25 (؟)	الإيمان	يش (22: 13 ـ 34)، قض (20: 27 ـ 28)
الردة الأولى	8	الكفر	قض (2: 11 ـ 23)، (3: 1 ـ 8)
3 ـ عثنيال (عثنيئيل)	40	الإيمان	قض (3: 9 ـ 11)
الردة الثانية	18	الكفر	قض (3: 12 ـ 14)
4 ـ أهود	80 أو 55 (80)	الإيمان	قض (3: 15 ـ 30)
5 ـ سمعان (شمجر)	25 (؟)	الإيمان	قض (3: 31)
الردة الثالثة	20	الكفر	قض (4: 1 ـ 3)
6 ـ دبورة	40	الإيمان	قض (4: 4) ـ (5: 31)
الردة الرابعة	7	الكفر	قض (6: 1 ـ 6) وأيضاً (7: 25)
7 ـ جدعون	40	الإيمان	قض (6: 7) ـ (8: 32)
8 ـ أبو مالك (أبيمالك) **الردة الخامسة**	3	الكفر	قض (8: 33) ـ (9: 57)
9 ـ مولع (تولع)	25 (23)	الكفر أو الإيمان	قض (10: 1 ـ 2)
10 ـ بابين (يائير)	22	الإيمان (؟)	قض (10: 3 ـ 5)
الردة السادسة	18	الكفر	قض (10: 6 ـ 9)
11 ـ هيلع (يفتاح) 12 ـ أفصان (إبصان) 13 ـ ايلون 14 ـ عبدون	6 7 أو 6 (7) 10 8	كان فاسقاً الاستقامة (؟) سكت عنه الإيمان (؟)	قض (11: 1) ـ (12: 7) قض (12: 8 ـ 10) قض (12: 11 ـ 12) قض (12: 13 ـ 15)

obeikandl.com

العهد	المدة بالسنين	الحالة الدينية	التوثيق
الردة السابعة	40	الكفر	قض (13: 1)
15 ـ شمشون	20	فاسق	قض (13: 2) ـ (16: 31)
بدون رئاسة	40 (؟)	الإيمان (الكفر)	قض (17 ـ 20)
16 ـ عالي	20 (40)	الإيمان	1 صم (2: 23 ـ 36)، (3: 10 ـ 14)، (4: 1 ـ 22)
17 ـ شمويل (صموئيل)	20 أو 40 (؟)	الإيمان	1 صم (1 ـ 7)
المملكة الموحّدة:			
1 ـ شاول	20 (40)	الفسق والظلم	1 صم (8: 1) ـ (31: 13)
2 ـ داود	40	نسبوا إليه الزنا والقتل	2 صم كله، 1أخ (10: 1) ـ (29: 30)
3 ـ سليمان	40	نسبوا إليه الشرك	1 مل (1: 1) ـ (11: 43)، 2 أخ (1: 1) ـ (9: 31)
مملكة يهوذا:			
1 ـ رحبعام	17	الكفر	1 مل (12 ـ 14)، 2أخ (10 ـ 12)
2 ـ أبيا	6 (3)	الكفر	1 مل (15: 1 ـ 8) 2أخ (13)
3 ـ أشا (آسا)	41	الإيمان	1 مل (15: 9 ـ 24)، 2 أخ (14 ـ 16)
4 ـ يهو شافاط	25	الإيمان	1 مل (22: 41 ـ 50)، 2 أخ (17: 20)
5 ـ يهورام	8	«ولم نجد أمر سيرته»	2 مل (8: 16 ـ 24)، 2 أخ (21)
6 ـ أحزياهو (أخزيا)	1	الكفر	2مل (8: 25 ـ 29)، 2 أخ (22: 1 ـ 9)
7 ـ عثلياهو (عثليا)	6	الكفر	2 مل (11)، 2 أخ (22: 1) ـ (23: 21)
8 ـ يؤاش (يوآش)	40	الكفر	2 مل (12)، 2 أخ (24)
9 ـ أمصياهو (أمصيا)	29	الكفر	2 مل (14: 1 ـ 22)، 2 أخ (25)
10 ـ عزياهو (عزيا)	52	الكفر	2 مل (15: 1 ـ 7)، 2 أخ (26)
11 ـ يوثام	16	«ولم نجد له سيرة»	2 مل (15: 32 ـ 38)، 2 أخ (27)
12 ـ آحاز	16	الكفر	2 مل (16)، 2 أخ (28)
13 ـ حزقيا	29	الإيمان	2مل (18 ـ 20)، 2 أخ (29 ـ 32)

العهد	المدة بالسنين	الحالة الدينية	التوثيق
14 ـ منسى	55	الكفر	2 مل (21: 1 ـ 18)، 2 أخ (33: 1 ـ 20)
15 ـ آمون	2	الكفر	2 مل(21: 19 ـ 25)، 2 أخ (33: 21 ـ 35)
16 ـ يوشيا	31	في السنة 3 (8) أعلن الإيمان	2 مل (22 ـ 23)، 2 أخ (34 ـ 35)
17 ـ يهوحوز (يهوآحاز)	3 أشهر	الكفر	2مل (23: 30 ـ 34) 2 أخ (36: 1 ـ 4)
18 ـ يهوياقيم	11	الكفر	2 مل (23: 34) ـ (24: 7)، 2 أخ (36: 5 ـ 8)
19 ـ يهوياكين	3 أشهر	الكفر	2 مل (24: 6 ـ 17)، 2 أخ (36: 8 ـ 10)
20 ـ صدقيا	11	الكفر	2 مل (24: 17) ـ (25: 7)، 2 أخ (36: 11 ـ 14)
مملكة إسرائيل:			
1 ـ يربعام	24 (22)	الكفر	1 مل (13 ـ 14)
2 ـ ناداب	2	الكفر	1مل (15: 25 ـ 32)
3 ـ بعشا	24	الكفر	1مل (15: 33) ـ (16: 7)
4 ـ أيلا (آيلة)	2	الكفر	1مل (16: 8 ـ 14)
5 ـ زمري	7 أيام	الكفر	1 مل (16: 15 ـ 20)
6 ـ تبني وعمري	12 (4)	الكفر	1مل (16: 21 ـ 22)
7 ـ عمري	8	الكفر	1 مل (16: 23 ـ 28)
8 ـ أحاب (آخاب)	21 (22)	الكفر	1 مل (16: 29) ـ (22: 40)
9 ـ أحزيا (أخزيا)	3 (2)	الكفر	1 مل (22: 51) ـ 2 مل (1)
10 ـ يهورام	12	الكفر	2مل (3 ـ 9)
11 ـ باهو (ياهو)	28	الكفر	2 مل (9 ـ 10)

obeikandl.com

العهد	المدة بالسنين	الحالة الدينية	التوثيق
12 ـ يهوياحاز (يهوآحاز)	17	الكفر	2 مل (13 : 1 ـ 9)
13 ـ يواش (يهوآش)	16	الكفر	2 مل (13 : 10 ـ 25)
14 ـ ياربعام (يربعام)	45 (41)	الكفر	2 مل (14 : 23 ـ 29)
15 ـ زخريا (زكريا)	6 (11) أشهر	الكفر	2 مل (15 : 8 ـ 12)
16 ـ شلوم	شهر واحد	الكفر	2مل (15 : 13 ـ 15)
17 ـ مياخيم (منحيم)	20 (10)	الكفر	2 مل (15 : 16 ـ 22)
18 ـ محيا (فقحيا)	2	الكفر	2 مل (15 : 23 ـ 26)
19 ـ ناجح (فقح)	28 (20)	الكفر	2 مل (15 : 27 ـ 31)
20 ـ هوشيع (هوشع)	7 (9)	الكفر	2 مل (17 : 1 ـ 6)

obeikandl.com

الرموز: يشوع (يش)، قضاة (قض)، صموئيل الأول (1صم)، الثاني (2صم)، ملوك الأول (1مل)، الثاني (2مل)، أخبار الأيام الأول (1أخ)، الثاني (2 أخ).

2 ـ تدوين التوراة وانتشارها:

بعد نحو أربعين عاماً من العودة من السبي البابلي، الذي دام سبعين عاماً، أملى عزرا الورّاق (الكاتب) الهاروني التوراة، من حفظه، وأصلح ما بها من خللٍ كثير وجده عند يهود عصره[183].

بعد عزرا، لم تنتشر التوراة انتشاراً واسعاً، ولم تنته المصاعب من أمام طريقها، حيث قام أنطاكيوس (أنطيوخس الرابع أبيفانيس) بإجبار بني إسرائيل على أداء العبادات الوثنية في بيت المقدس[184].

ولم تعرف التوراة انتشاراً واسعاً إلا بعد أزيد من أربعة قرون من خراب الهيكل، في عهد قوم من بني هارون (المكابيين). وأرجع ابن حزم ذلك إلى تحوّل خطير مسّ شكل العبادة اليهودية، إلا أنه ترك أثراً عظيماً على الديانة في مجملها، هو استبدال العبادة القربانية القائمة على التقدمات الحيوانية والنباتية، بعبادة أساسها الصلاة وتلاوة التوراة. وما صحب ذلك من إلغاء لمركزية العبادة

---

(183) المرجع السابق، ج1، ص 298. دام السبي سبعين عاماً حسب: إرميا (25: 11 ـ 12)، أخبار ثاني (36: 21). وتم السبي على أربع مراحل، أخبار ثاني (36: 5 ـ 17)، تقدر تواريخها كما يلي: 605، 597، 587، 582 ق م. أما إذن العودة الذي أعطاه كورش الفارسي لليهود فيؤرَّخ له بسنة 536 ق م. ولم يُنه زربابل بناء الهيكل الثاني إلا سنة 516 ق م. أما موعد عودة عزرا فيرجّح في 458 ـ 457 ق. م. ولم يوضّح سفرا عزرا ونحميا كيفية كتابة عزرا لسفر الشريعة، وجاء في نحميا (8) وصف جو الخشوع الذي أحاط بقراءة عزرا للتوراة بعد العودة من السبي.

(184) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص298. أنطيوخس الرابع هو ملك سوريا ما بين 175 ـ 163ق م. ثار عليه المكابيون لاعتداءاته على اليهود وديانتهم. وهو ليس باني مدينة أنطاكية ـ كما ذكر ابن حزم ـ فالذي أسّسها هو نيكاتور أحد قوّاد الإسكندر المقدوني سنة 300 ق م. انظر: **قاموس الكتاب المقدس**، مادة: أنطاكية ص124، مادة: أنطيوخس، ص126، مكابيين أول (1: 41 ـ 64).

التي كانت لا تُقام إلا في السرادق (خيمة الاجتماع) ثم في الهيكل. فأنشأ اليهود الكنائس/ المجامع في كل قرية تواجدوا فيها، حيث كانوا يجتمعون كل سبت، ويتلقّون من علمائهم أمور دينهم. وهكذا صار نسخ التوراة ونشرها ضرورياً للصلاة والتعليم كليهما[185]. يبرز هذا التحليل لظاهرة انتشار التوراة وعي ابن حزم بالتطورات التي شهدتها الديانة اليهودية، إلا أن تأريخه لظهور الصلاة بديلاً من القرابين غير دقيق، لأن ذلك يرجع إلى ما بعد السبي البابلي وخراب الهيكل مركز العبادة القربانية[186].

وخَلُص ابن حزم من ذلك أن الكهنة الذين غيّروا الشريعة اليهودية الآمرة بصرامة، بحصر العبادة القربانية داخل الهيكل، ليسوا بعاجزين عن تغيير الكتاب ذاته، الذي دُوّنت فيه هذه الشريعة[187].

(185) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص298 ـ 299، 311 ـ 312.

(186) انظر مثلاً: ظاظا. **الفكر الديني اليهودي**، مرجع سابق، ص142.

(187) ابن حزم. **الفصل**، مرجع سابق، ج1، ص298 ـ 299، 320. استنتج ابن حزم صرامة الأمر الإلهي بتطبيق الشريعة من خلال يشوع (22: 10 ـ 34).

openkandl.com